



النار في الشياطين

منير الغضبان



أبو ذر الغفاري

الزاهد المجاهد

دار العربية  
للطباعة والنشر والتوزيع

مجلد

ابو ذر الغفاري  
الزاهد المجاهد



الناري الشبائي

منير الغضبان  
بمطبعة

أبو ذر الغفري  
بمطبعة

الزاهد المجاهد

دار العريفة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
بيروت - لبنان



الطبعة الأولى  
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بَيْنَ يَدَيِ الْبَحْثِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق ورائد الحق محمد وعلى آله وصحبه وبعد .

إن المشكلة التي نعانيها اليوم في مجتمعاتنا هي : تغير المفاهيم أو من ثم تبدل المقاييس . فلقد جاء الإسلام بمفهوم شامل له عن الكون والحياة والإنسان .

وحدد القرآن ماهية هذه الرسالة وأسسها ، وتكفل الرسول ﷺ بالبيان للناس ما أنزل إليهم ، وبذلك فهم المسلمون في الصدر الأول إسلامهم من المنبع الأصيل . والمصدر الحق المبين . فانتفى من مجتمعهم التناقض والانقسام ، وكيفوا أنفسهم مع الرسالة الجديدة ، وأصبح الإسلام المقياس الوحيد بالنسبة إليهم ، بعد أن خلعوا جاهليتهم قبل الإنطواء تحت هذا اللواء ، وتبرؤوا من كل شيء إلا الله ورسوله .

ومر الزمن وثيداً وتدخلت عوامل عديدة ومتغيرة في حياة المسلمين بعد ذلك أفسدت كثيراً من تلك المفاهيم ، ومن ثم تغيرت مقاييس الناس تبعاً لفساد المفاهيم . حتى وصلتنا لما هي عليه اليوم .

ولست بصدد معالجة هذه المشكلة بالذات ، أو تعداد عوامل التغير وأسبابه ، وإنما أكتفي أن أصف هذه الظاهرة فقط ، وأعرض للمشكلة من الزاوية التي تتصل بالبحث ، وهي زاوية تطبيق هذه المفاهيم المتغيرة على شخصيات الصحابة عليهم رضوان الله .

إضافة إلى هذه الصورة الأولى التي ذكرتها من وحدة النبع ووحدة المفهوم أحب أن أورد الصورة المقابلة في مجتمعنا اليوم .

لقد غدا المفهوم الشامل للحياة المعاصرة يحدد عن طريق المادة والاقتصاد وهي النظرة الشيوعية التي وردتنا من التفسير المادي للتاريخ .

فلم يعد تقسيم الناس على أساس الإسلام . إذ ليس للإسلام ذلك المفهوم العام الأصيل - كما يزعمون - بل أصبح ضمن القوقعة التي حصرت بها مفاهيم الحضارة الغربية الحديثة . وأدخل زوراً وبهتاناً في السجن المعد له .

وبهذا المفهوم المادي أصبح الناس عندنا قسمين :

فهو إما اشتراكي وإما رأسمالي . بغض النظر عن عقيدته  
وملوكه وشخصيته . بعد أن كان المفهوم الأصيل السابق  
للإنسان . إما مسلماً وإما غير مسلم . بغض النظر عن لونه  
وقوميته ووطنه .

فالاشتراكية رسالة عالمية ، ينضوي تحت لوائها كل من يؤمن  
ببائدها وأسسها . سواءً كان متديناً أو فاسداً . مسلماً أو يهودياً .  
خلقاً أو منحلاً . فهو بالرغم من كل شيء اشتراكي ، ويلتقي  
الجميع تحت هذا الشعار .

والرأسمالية ، أو النظام الاقتصادي الحر ، رسالة عالمية  
لذلك ينضوي تحت لوائها كل من يؤمن بمبادئها وأسسها سواءً  
كان متديناً أو فاسداً . مسلماً أو يهودياً . خلقاً أو منحلاً .  
رضي بذلك أم أبى ، فهو بالرغم من كل ذلك رأسمالي .

ولا بد من الحرب الطبقيّة . ولا بد من سحق الرأسمالية  
لتحكم الاشتراكية ومن ثم تحكم الشيوعية . وبذلك تتحقق سعادة  
الناس ورفاهيتهم وتنتهي أحلامهم في هذه الأرض .

هذا هو المفهوم الجديد الذي ساد حياتنا اليوم .

كما يسود كذلك المفهوم القومي . الذي يعتز بكل ما تنتجه  
الأمة العربية بغض النظر عن نوعيته وماهيته . حتى بغض النظر  
عن معتقدات هذه الأمة في الجاهلية والإسلام .

فالأدب الإسلامي ، وأدب الانحلال ، والأدب الجاهلي يوضع  
جنباً إلى جنب لأن كليهما إنتاج عربي .

ومع هذه المفاهيم الجديدة بدأت تطالعنا كتب متناثرة  
تحدث عن اشتراكية أبي بكر ، واشتراكية عمر ، ويمينية  
عثمان وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، ويسارية أبي ذر وبلال  
وعلي .

وحين تدرس الكتب هؤلاء الأشخاص . نضم الاشتراكيين  
إلى قائمة ماركس وانجلز . وحين تدرس اليمينيين أو الرأسماليين  
تضمهم إلى قائمة سميث وغيره . وحين تدرس عثمان تضمه إلى  
قائمة البابوية وحكم الكهنة في القرون الوسطى .

فكما نرى إذن أن تغير المفاهيم أدى بعد إلى تغير المقاييس .

ولعل اللجوء إلى دراسة هؤلاء الشخصيات من صحابة رسول  
الله ﷺ راجع إلى بقايا ذلك الرمي في نفوسهم من العاطفة  
القومية والدينية . وتأثراً بالمجتمع الذي يعيشون فيه . والذي  
لا تزال أذهان الجيل القديم متأثرة فيه بالتقييم الأول للناس على  
أساس الإسلام .

هذه ظاهرة خطيرة جداً عمت مجتمعنا دون أن يعي الناس  
لها . ودون أن يقدرُوا ما تجره على هذه الأمة من الخطر الأكيد  
بالزوال الماحق لشخصيتها وأصالتها .



ومن هنا وجدنا شخصية أبي ذر الغفاري رضي الله عنه يتناولها هؤلاء الباحثون أو - مدعي البحث والدراسة - بالتحليل والتدقيق ليخرجوا منه اشتراكياً شيعياً ، ينضم إلى قائمتهم لينبها على أصالة هذه الإشتراكية في التاريخ ، ويتموا جريمتهم البشعة بابتلاع الإسلام وقيء التقسيم المادي للناس .

ويضعون بالصورة المقابلة - عثمان - الرأسمالي المتعجرف ، أو الطاغية الحقود الذي لا يصيح إلى إصلاح أو يصغي إلى نقد دكتاتورياً مستبداً ينفي دعاة الإصلاح والعدالة ويبددهم في كل صقع .

أما المنصفون من هؤلاء فيقدمونه في صورة المستضعف المتخاذل الذي تسير أموره الأسرة الحاكمة . وتستغل اسمه ومركزه بالمحسوبيات والرشاوي والإقطاع أسوأ استغلال وأبشعه ، ويظهرون أنهم قد أسدوا معروفاً لأمتهم وتاريخهم حين رفعوا سوط اللوم عنه .

هذا واقع بدأ يصرع أسماعنا في كل مجال ولهذا كان لا بد من رفع هذه المقاييس والمفاهيم أولاً حتى نستطيع أن نفهم أبا ذر بمقياس الإسلام بنفسه ومفهومه .

وهذه هي النقطة الأولى التي أود إيضاحها قبل بداية البحث ، أما النقطة الثانية :

فهي شخصية الذين يعالجون نفسيات الصحابة ويعملونها ،  
ويكتبون عنها .

فهم أولاً : لهم اتجاههم الأكيد الذي قد يلتقي أو يختلف  
مع الاتجاه الإسلامي ، وحددوا لأنفسهم هذا الاتجاه دون أن  
ينزلوا في حسابهم رأي الصحابة بهم لو رأوهم وعروا وجهتهم  
المشبوهة وسلوكهم المنحرف .

وحسب تأثر هؤلاء الكاتبين بمفاهيمهم يعملون خلاف الصحابة  
فيما بينهم . يؤيدون هذا وينجازون إلى ذاك . يلجؤون إلى  
الرواية الغثة الضعيفة فيقوونها ويعتمدونها كأنها الحق الذي لا  
شك فيه . ويتركون القوية المعتمدة ويهجرونها لأنها تفوت  
عليهم غايتهم ، وتقلت منهم مقصدهم ، وإذا اضطرتهم الظروف  
إلى اختيار نصٍ معين فلا بد من أن يجدوا له التعليل المناسب  
الذي يؤدي إلى تحقق الفكرة التي يريدون ، وعلى سبيل المثال :

حين يختلف صحابي آخر في أمرٍ من الأمور ، يرجعون  
هذا الخلاف إلى جذوره الأساسية كما يزعمون ، إلى التأثير القبلي  
ودوافع عصبية العشيرة . وهذا - التعليل - هو لمن تستهويه  
الناحية القومية .

وعندما يأتي إنسان مادي ليعالج هذا الخلاف نفسه يرجعه  
إلى جذوره الأساسية كما يزعم إلى مشكلة الغنى والفقر .

وطفيان الأغنياء ، ودفاع الفقراء عن حقوقهم المهضومة من  
احتكارات الأغنياء ويحيلون هذا الخلاف إلى حرب الطبقات .

وعندما يأتي إنسان سياسي ليعالج هذا الخلاف نفسه  
يرجعه إلى جذوره الأساسية كما يزعم إلى حب التسلط وشهوة  
حكم والخلاف على الكرسي والمنصب . ويحيلون هذا الخلاف  
على حب الدنيا والتأثر بشهواتها ومفاتها ومغرياتها .

فإذا أتى المسلم ليقول عن هذا الخلاف نفسه أنه خلاف في  
الاجتهاد ضمن دائرة الإسلام وحظيرته . وإن كلا الفريقين ينبغي  
وجه الله فيما ذهب إليه . ويقدم النصوص الثابتة والواضحة  
كسلة على هذا المفهوم نفسه دون تعسف أو تأويل . بل ترك  
الكلمات تعطي مدلولها الحقيقي ، وتوضح نوازع النفس من  
خلالها . كأنما يقول هجراً أو بدعاً من القول .

وترسم الابتسامة على الشفاه الممتزجة بالهوى والغرض  
ويصورون المسلم أنه خب مغفل أو متعصب متزمت لا يطلع على  
الحقائق التاريخية التي وصلوا إليها . ويسوقون وراءهم قطيعاً  
من التابعين يقولون بما يقول لهم سادتهم وكبراءهم كأنهم خشب  
مستند يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله  
من يؤفكون .

مثل هؤلاء الكاتبين لا يلامون إن مكثوا في ذلك المستنقع  
من الذي يعيشون فيه ، ولا غرابة في ذلك .

فكيف يستطيع أن يفهم سبيل الله وسبيل الحق من  
لا يقصده ولا يعرفه ولا يفكر فيه هؤلاء في الواقع إذا  
استعملنا ميزانهم نفسه عليهم لا يفكرون إلا بهوى مغرض أو  
جهل فاضح .

فشهوة الحكم والسلطان هي التي تحبك في نفوسهم ، ونهم  
اللحمة وجشع المادة هو الذي يأكل قلوبهم . فكيف تريد من  
أمثال هؤلاء أن يفهموا التاريخ الإسلامى ويفقهوه .

إن من الطبيعى أن ينكروا حقيقته أو يشوهوها . لأنه  
لا وجود لهذه الحقائق في نفوسهم فهي بالنسبة إليهم خيال أو  
خرافة أو استحالة .

فإذن لن يفهم التاريخ الإسلامى فعلاً إلا مسلم حق . يرضى  
بمفهوم الإسلام نفسه ومقياسه .

ولا عجب فقد يلجأ أولاء إلى اتهامه بالتعصب لفكرته  
ودينه والشخصيات العظيمة الخالدة في تاريخه .

نعم إن المسلم يتعصب للإسلام لأنه حق ، ويتعصب للصحابة  
لأنهم مسلمون أما أولئك فماذا يريدون منه ؟؟

يرودون منه أن يتمسك بباطلهم ويتخلى عن حقه حتى  
يرضيه فيقولون عنه : إنه واعٍ ومتطور ومرن .

المسلم سائر في دربه وقافلته معها كثر النباح والعواء .

وسندرس إن شاء الله شخصية أبي ذر بالمقياس نفسه الذي  
يريده أبو ذر ، وبنفس المفهوم الذي كان يؤمن به ، وينادي  
فيه وينافح من أجله .

بمقياس الإسلام الذي آمن به هو وأخوه عثمان وارتضياه  
دون غيره من المقاييس .

والله نسأل أن يجنبنا زلة القلم ، وتعثر الفكر ، وجموح  
الرأي . والحمد لله رب العالمين .





## جُذُورُ الشَّخْصِيَّةِ

إسمه على أصح الروايات جندب بن جنادة الغفاري ، ولهذا الإسم إيجاءاته الغريبة لمعظم الأسماء العربية الأخرى آنذاك مثل حرب وحنظلة وصخر ومعاوية. تنقل لنا صورة ذلك المجتمع في طابعه الصحراوي الأصيل ، وسمته البدوية الخالصة . وما أن يردد المرء هذا الإسم - جندب بن جنادة - حتى ليتوارد على ذهنه عنصر الصبر والجلد والشظف بالإضافة إلى عنصر الانفراد والوحدة وخفة الحركة . ونستطيع أن نتلمس هذه الظلال من ثنايا النصوص الواردة عن أبي ذر .

ففي صحيح مسلم من رواية عبدالله بن الصامت الغفاري عن أبي ذر نفسه قوله وهو يناجي محمداً ﷺ .

قلت : كنت ها هنا منذ ثلاثين بين يوم وليلة .

قال : فمن كان يطعمك ؟

قلت : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت  
عكن بطني<sup>(١)</sup> وما أجد على كبدي سخفة جوع<sup>(٢)</sup> .

قال : إنها مباركة إنها طعام طعم<sup>(٣)</sup> .

وفي رواية محمد بن المثنى العتري عن عبدالله بن الصامت عن  
أبي ذر .

قال : منذ كم أنت ها هنا ؟ ؟

قلت : منذ خمس عشرة .

فأي صبر وجلد وشظف يمتلكه إنسان كما ملكه أبو ذر<sup>(٤)</sup> ؟  
أما عنصر الانفراد والوحدة وخفة الحركة فنستطيع أن  
نتلمسه من ثنايا النصوص كذلك .

---

(١) تكسرت عكن البطن : انطوى لحم البطن وتثنى من السمنة

(٢) سخفة جوع : أثر ضعيف من الجوع

(٣) طعام طعم : يشبع من أكله

(٤) قد يبدو للوهلة الأولى أن هناك تناقضاً بين الروایتين اللتين أوردهما  
مسلم في العدد ففي الأولى ثلاثين وفي الثانية خمس عشرة وسرعان ما يزول  
هذا التناقض عندما نرى في الرواية الأولى ثلاثين بين يوم وليلة . بينما تورد  
الثانية العدد ، خمس عشرة . دون ذكر اليوم والليلة . وإذا عرفنا أن العرب  
تستعمل كلمة - اليوم - مرادفة للنهار أحياناً ، تأكد لنا أن دلالة الروایتين  
واحدة أي أنه كانت خمسة عشر يوماً أو ثلاثين نهراً وليلة دون أن يكون  
له من طعام أو شراب إلا ماء زمزم يحاول التعرف إلى محمد صلى الله عليه  
وسلم ودعوته عن كذب .

فلقد اورد ابن سعد في الطبقات الكبرى<sup>(١)</sup> عن خفاف بن ايماء بن رخصة قوله :

كان أبو ذر رجلاً يصيب الطريق وكان شجاعاً ينفرد وحده بقطع الطريق ويغير على الحرم<sup>(٢)</sup> في عماية الصبح على ظهر فرسه أو على قدميه كأنه السبع فيطرق الحي ويأخذ ما يأخذ ...

فأي خفة وثقة بالنفس يمتلكها إنسان كما ملكها أبو ذر ؟ ؟

ولا غرابة في ذلك فهو من غفار تلك القبيلة التي كانت مضاربها تمتد على طريق القوافل الغادية من مكة إلى الشام . وتقيم بين مكة والمدينة دون أن تدع قراراً أو استقراراً لأي قافلة ذاهبة أو آية تمر من جوارها أو بين ظهرينها .

ولقد غلبت هذه الصبغة على غفار كلها . صبغة الإغارة والهجوم المباغت على الحي أو على العير التي تراها وتلمحها .

وللتأكد من هذه الصبغة للقبلة كلها . نقتطع هذه الكلمة من النص الذي أورده ابن سعد في طبقاته عن نجيح أبي معشر في خبر إسلام أبي ذر في نفس المحادثة السابقة بينه وبين محمد صلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) رواية ابن سعد عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن يحيى بن شبل عن خفاف بن ايماء

(٢) يغير على الحرم : يغير على الجماعة المقيمة في البيوت

( فسأله النبي ﷺ : ممن أنت ؟ فقال : من بني غفار . فعجب النبي ﷺ إنهم يقطعون الطريق . فجعل النبي يرفع بصره ويصوبه فيه تعجباً من ذلك لما كان يعلم منهم ثم قال : إن الله يهدي من يشاء ) .

ويدل على ذلك أيضاً رواية مسلم نفسها عن عبدالله بن الصامت الغفاري في خبر إسلامه .

( قال : من أنت ؟ قلت : من غفار . فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته . فقلت في نفسي : كره أن انتميت إلى غفار )

فطبيعة الصحراء المهيبة في البيد المترامية فيها . وكثبان الرمل المترعة باللهيب ، والفضاء الواسع الرحيب ، حيث الأفق البعيد اللانهائي . والسماء المكتسية بالزرقاة الصافية ، والشمس المتوهجة بالنور والنار .

نجد الأعرابي أميراً على هذه الأرض سهلها ووعرها ووهادها ونجادها مائها وهوائها . جعلها جميعاً مسرح نوقه وشائه . لا ينازعه على هذه الإمارة أحد . وجبلته على الحرية التي لا تعرف الحدود استمدتها من جيلة صحرائه وامتداد أفقه .

أبو ذر إذن واحد من هؤلاء البداة الشداد أو قل : فارس معلم من فرسان الصحراء المعدودين . فلقد كانت شجاعته محط



أنظار قبيلته - غفار- التي كانت هي نفسها محط أنظار العرب  
وباعثة الرهبة والرعب في نفوسهم .

إننا نستطيع أن نستجمع الخصائص الأصلية لهذا الفقي الغفاري  
من روح النصوص الموجودة لدينا ، فنتبين شجاعته ورجولته ،  
يحانب صبره وجلده ، إلى الثقة العميقة بالنفس ، وقوة العزم  
والتصميم على ما يؤمن به .

كل هذه العناصر إذا فقهناها في مستهل البحث نستطيع أن  
ندرك المغزى الكامن وراء تصرفاته فيما بعد ، والتي تجنبنا  
التأويلات المصطنعة والتعليقات المنحرفة العربية عن طبيئته  
وطبيعته .

يحانب هذا كله يطالعنا جانب هام وهام جداً من حياة أبي  
ذر قبل الإسلام ، وقد أجمعت الروايات الصحيحة عليه وهو أنه  
كان من المتألهين<sup>(١)</sup> في الجاهلية . وهل هذه الناحية يمكن اعتبارها  
أعظم مآثرة من مآثره في جاهليته .

أما ما لدينا من النصوص يثبت ذلك .

فهو ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن الصامت .

قال أبو ذر يخاطب ابن الصامت قائلاً :

---

(١) المتألهين : المتعبدين والمتنسكين لله وحده .

« وقد صليت يا بن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين . قلت : لمن ؟ قال : لله ، قلت : فأين توجهت ؟ قال : أتوجه حيث يوجهني ربي أصلي عشاء حتى إذا كان آخر الليل ألقيت كأني خفاء<sup>(١)</sup> ، حتى تعلوني الشمس .

وورد شبيهاً بهذا النص في أسد الغابة لابن الأثير وهو قوله : وكان يعبد الله تعالى قبل مبعث النبي ﷺ بثلاث سنين . وورد قريباً منه كذلك في الطبقات الكبرى لابن سعد .

فإن دلنا ذلك على شيء فهو يطلعنا على الناحية الفكرية لديه التي تمثله لنا في صورة الرجل العظيم الذي يرتفع فوق مستوى قبيلته وبيئته ولا يرضى إلا بالرأي الحر النزيه ، والمنطق المستقيم السديد مها كلفه ذلك من عنت وعناء ومشقة .

والرجال الذين كانوا يتألهون في ذلك الوقت كانوا معدودين على الأصابع أمثال زيد بن عمرو . وورقة بن نوفل . وقس ابن ساعدة . وهذا يعني أن المستوى الفكري الذي بلغه أبو ذر رضي الله عنه هو في مقام الذروة والقمة الساحقة من النضوج والوعي والعمق .

وإنه قد يكون هناك الكثيرون من الاعراب أو غيرهم

---

(١) كأني خفاء : كأني مخفي لا يدري بي أحد .

تراودهم هذه الافكار عن وحدانية الله وسفاهة الاصنام . لكنهم إما أن يخفوها أو يطردوها، يخفونها جبناً وضعفاً، أو يطردونها استخفافاً بها وتعلقاً بحطام الدنيا وانتكاساً في رغامها .

أما هو فلم يقبل بهذين المفهومين لأن شجاعته الأدبية والمعنوية المتأصلة في نفسه تأبى عليه إخفاء فكرته ، واندفاعه وراء الحقيقة المنبثقة من أصالة جوهره تأبى عليه طردها من واقعه . بقي لنا بعد هذا كله أن نعرض حدثاً هاماً في جاهليته يكشف لنا عن بيئته وعن آخر جانب من الجوانب الضروري إيضاحها من طباعه ونفسيته . فلنعد ثانية لعبدالله الصامت وروايته .

قال ، قال أبو ذر : خرجنا من قومنا غفار وكانوا يحلون الشهر الحرام فخرجت أنا وأخي أنيس وأما فنزلنا على خال لنا فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا فحسدنا قومه فقالوا : إنك إذا خرجت من أهلك خالف إليهم أنيس ، فجاء خالنا فنشأ<sup>(١)</sup> علينا الذي قيل له .

فقلت : أما ما مضى من معروفك فقد كدرته ولا جماع لك فيما بعد فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغطى خالنا بثوبه فجعل

---

(١) نشأ : أفسى

(٢) الصرمة : القطعة من الإبل

يبكي فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة . فنافر<sup>(١)</sup> أنيس عن صرمتنا وعن مثلها فأتيا الكاهن فخبّر أنيساً فأثانا أنيس بصرمتنا ومثلها معها .

ويعلل الأستاذ السحار في كتابه - الاشتراكي الزاهد - ويؤيده في ذلك ، علي ناصر الدين . أن سبب خروجهم من مضارب خيامهم هو احتباس السماء وانقطاع المطر عنهم . فأدى ذلك الجذب المنهك وقلة الغيث إلى ضيق ذات اليد وصعوبة المعيشة مما اضطره إلى أن يغادر منزله مع أمه وأخيه إلى خاله حيث جادت السماء بالنوابل المدرار . ومكث أبو ذر وأهله فترة غير قليلة عنده . غير أن الوشاة استثقلوا ظل هؤلاء الضيوف . وبدأت الأصابع تلعب في الخفاء إلى أن أثمرت مكيدة خبيثة دلت على المستوى الآسن الذي يعيش فيه هؤلاء الواشون .

لقد اتهموا أنيساً بخلوه بامرأة خاله وميله إليها . وما زالوا بالخال يقتلونهم بالذروة والغارب حتى صارح ابن اخته أبا ذر بالموضوع وفي تحفظ شديد ، غير أنه على ما يبدو ولم يكن على جانب مهم من معرفة نفسية أبي ذر .

فكان ذلك الجواب الحاسم : أما ما مضى من معروفك فقد كدرته ولا جماع لك فيما بعد .

---

(١) نافر : فاخر بالحسب والنسب . ( فحكم الكاهن لانيس على خصمه فربح إبله وإبل خصمه )

وكان لهذه الكلمة وقع السنان على المضيف ، وحاول أن يتلافى القضية ، يعتذر من أهله ويستعطفهم ولكن هيهات ، فلقد هشمت الجرة ولا جماع لها بعد .

إننا نقف على جانب هام كذلك من طبيعة أبي ذر هو حدة طبعه وإنفته ، إنه لا يستطيع أن يفقه معروفاً مرتفقاً بمن أو أذى لأن عزة نفسه تأبى عليه ثاقل الغير منه ولو كان خاله ، وتجعله يرفض الأذى والحسد ولو كان ممن قدم إليه أعظم معروف .

إنما هذه الأنفة ليست أنفة الجهل والكبرياء والتعجرف أبداً ، بل أنفة العزة والكرامة وهي التي تحفظ توازنه دون أن يندفع بمنطق رد الفعل إلى التهجم على خاله ونسيان معروفه بل كانت كلمة الواثق المطمئن .

« أما ما مضى من معروف فقد كدرته » .

فلن تطاوعه نفسه أن ينكر معروفاً لا يزال يعيش في مجبوحته إلى الآن ، ولن تطاوعه نفسه من جهة ثانية أن يقبل مساس كرامته حرصاً على لقمة العيش « ولا جماع لك فيما بعد » .

إن حدة طبعه تظهر لنا على عواهنها دون تدقيق أو تحييز .

فهو لا يرضى بمنطقه مناقشة بعد الكلمة التي أباح خاله لنفسه



التلفظ بها أمامه ، كما لا يريد الاستفهام والتعرف على الدوافع الكامنة وراءها . تكفيه هذه الكلمة بغض النظر عن خطئها وصوابها أن تقض مضجعه ، وتحول بينه وبين اجتماعه مع خاله لحظة واحدة ، لانه يكفيه منه أن يحمل هذه الفكرة وسيان عنده كانت شكاً أو حقيقة .

بعد هذا التجوال البسيط في سبر أغوار الفتى الغفاري نعود لنستجمع معالم شخصيته التي بدت لنا في صبره وجلده ، فقره وشظف عيشه ، خفة حركته واعتماده على نفسه ، شجاعته ورجولته ، استقامة فكره وكفه بالحقيقة ، أنفته وحدة طبعه ، وحفظه التوازن البعيد عن الجموح والنزوات الانفعالية .

وقد جعلت منه هذه الصفات كلها إنساناً غير عادي لا على مستوى قبيلته المغمورة فحسب ولا على مستوى بيئته العربية كذلك ، بل على مدار التاريخ كله .

لكنني أعتقد جازماً أن هذه الجذور أو البذور لم تكن لتؤتي أكلها أبداً لولا الاسلام . فهناك شخصيات كثيرة ملكت أمثال هذه المؤهلات وضاعت في غياهب التاريخ دون أن يسمع بها أحد .

وذلك لان المجتمع العربي الطبقي آنذاك الذي كان يقوم على شرف العشيرة ومنطق الاقوى الذي يأكل الضعيف . لم يكن هذا المجتمع ليتيح أبداً لامثال هذه الشخصيات أن تظهر . بل

وحق لامثال هذه القبائل نفسها أن تبرز . لقد كانت نوعية هذا المجتمع تفرض عليه للمحافظة على وجوده أن يقاوم بشراسة لتحطيم هؤلاء الاشخاص مهما كلفه ذلك من عناءٍ وجهد .

إن الذي دفع أو أدى بالآخرى إلى بروز الجذور العميقة في الشخصيات الفذة هو قيام دولة العقيدة ، وجعل الفكرة فوق الحسب والمال والقوة والعدد ، حيث أصبحت قيمة الإنسان ومركزه بعقيدته فقط .

وتلمح ذلك من ثنايا نص لرسول الله ﷺ يقول فيه عبدالرحمن بن أبي بكر عن أبيه فيما رواه مسلم .

« أن الاقرع بن حابس جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : إنما بايعك سراق الحبيج من أسلم وغفار ومزينة ( وأحسب جهينة )

فقال رسول الله ﷺ :

أرأيت إن أسلم وغفار ومزينة ( وأحسب جهينة ) خيراً من بني تميم وبني عامر وأسد وغطفان أخابوا وخسروا ؟؟؟

فقال : نعم

قال : « فوالذي نفسي بيده إنهم لاخير منهم » .  
فنحن نرى أنه بالرغم من أن غفار وأسلم وجهينة أو مزينة كانوا يربعون القبائل الاخرى ، ويغيرون على قوافل الحبيج

والتجارة منها ، إلا أن ذلك لم يكن يعني أن لامثال هذه القبائل وزن أو حساب أمام القبائل الكبرى أمثال قريش وتيم وأسد وهو وزن وثقيف .

إن هذه القبائل الكبرى كانت تشكل كل واحدة منها مدينة كاملة ، لها مصدر أصيل للثروة من تجارة أو زراعة ، أما تلك الفروع المتناثرة هنا وهناك التي لم تكن تجد ما تأكله . ولا ترى حلاً لفاقتها إلا الإغارة والسلب ، كما أنها كانت مهانة مزدرة من قبل أبناء المدن الكبرى كما رأينا من هذا النص .

في تعبير الاقرع بن حابس :

إنما بايعك سراق الحجيج من أسلم وغفار ومزينة .

ولم يكن يتاح لأبناء مثل هذه الافخاذ والبطون الظهور بأي شكل إلا الشهرة في الإغارة والمباغطة على القوافل .

كما رأينا أبا ذر نفسه حين كان يغير وحده كالسبع في عماية الصبح ، إلى أن جاء الإسلام فغير موازين المجتمع واعتباراته ، وأزال ميزان المال والقوة والعدد والثروة . وجعل الميزان الوحيد هو ميزان العقيدة فقط ولا شيء غيره . فأتى لكل من لديه موهبة أو طاقة أن تظهر جليلة واضحة على حقيقتها ويؤمن توزيع الثروة العادل البعيد عن الاثرة والانانية .

ولنودع الآن أبا ذر الجاهلي بعد أن تعرفنا على بيئته وطبيعته

وجذور شخصيته ، لعلنا نكون الى حدٍ ما قد رسمنا لوحة لاعماقه  
وذايته دون أن ننسى رسم الصورة لمظهره الخارجي وسمه تكوينه  
التي ينقلها لنا ابن سعد في طبقاته عن أبي بريدة (١) :

وكان أبو ذر رجلاً أسود كث الشعر .

وعن الاحنف بن قيس قوله : رأيت أبا ذر رجلاً طويلاً آدم  
رقيق العظم .

ولنسر مع ذلك الاسمر الداكن الملوّح للسواد الطويل كث  
الشعر إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) رواه محمد بن سعد عن أبي معمر المنفري عن عبد الوارث بن سعيد  
عن الحسين المعلم .

## المحوّل العجيب

لدينا أربع روايات موثوقة عن إسلام أبي ذر سنتعرض لها جميعاً ولطالما تعرضنا لرواية إسلامه عن طريق عبدالله بن الصامت في صحيح مسلم . فأرى أنه لا بد من إثبات النص كاملاً ليتسنى لنا فهمه ومناقشته . وسننسحب تاركين الحديث لأبي ذر ينقل لنا خبر إسلامه<sup>(١)</sup> .

قال أبو ذر : خرجنا من قومنا غفار وكانوا يحلون الشهر الحرام فخرجت أنا وأنيس أخى وأمنا فنزلنا على خالٍ لنا . فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا فحسدنا قومه فقالوا : إنك إذا خرجت من أهلك خالف إليهم أنيس فجاء خالنا فنشأ علينا الذي قيل له .

فقلت : أما ما مضى من معروفك فقد كدرته ولا جماع لك

---

(١) صحيح مسلم ج ٧ من ص ١٥٣ لـ ص ١٥٥ عن هدا بن خالد الأزدي عن سليمان بن المنيرة عن حميد بن هلال عن عبدالله بن الصامت.

فما بعد . فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغطى خالنا بثوبه  
فجعل يبكي فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة . فنافر أنيس عن  
صرمتنا وعن مثلها فأتيا الكاهن فخير أنيساً فأثانا أنيس بصرمتنا  
ومثلها معها .

( قال : وقد صليت يا بن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ  
بثلاث سنين . قلت : لمن ؟ قال : لله . قلت : فأين توجه ؟ قال :  
أتوجه حيث يوجهني ربي أصلي عشاء حتى إذا كان آخر الليل  
ألقيت كأني خفاء حتى تعلوني الشمس ) .

فقال أنيس : إن لي حاجة بمكة فاكفني ، فانطلق أنيس  
حتى أتى مكة فراث<sup>(١)</sup> علي ثم جاء فقلت : ما صنعت ؟ قال :

لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله . قلت :  
فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر ،  
وكان أنيس أحد الشعراء . قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة  
فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء<sup>(٢)</sup> الشعر . فما يلتئم  
على لسان أحد بعدي أنه شعر . والله إنه لصادق وإنهم  
لكاذبون . قلت : فاكفني حتى أذهب فأنظر .

فأتيت مكة فتضعفت<sup>(٣)</sup> رجلاً منهم فقلت : أين هذا الذي

---

(١) راث علي : أبطأ علي في المجيء

(٢) أقراء الشعر : طرقه وأنواعه وأساليبه

(٣) تضعفت : اخترت رجلاً ضعيفاً

تدعونه الصابىء ؟ فأشار إليّ فقال : الصابىء . فقال عليّ أهل  
الوادي بكل مدرة<sup>(١)</sup> وعظم حتى خررت مغشياً عليّ . فارتفعت  
حين ارتفعت كأني نصب<sup>(٢)</sup> أحمر . فأتيت زمزم فغسلت عني الدماء  
وشربت مائها ولقد لبثت يا بن اخي ثلاثين بين ليلة ويوم ما كان  
لي من طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني .  
وما وجدت على كبدي سخفة جوع .

فبينما أهل مكة في ليلة قمرء إضحيان<sup>(٣)</sup> إذ ضرب علي  
أسمختهم<sup>(٤)</sup> فما يطوف بالبيت أحد وامرأتان منهم تدعوان  
إسافاً<sup>(٥)</sup> ونائلة .

فأتنا عليّ في طوافها فقلت : أنكما أحدهما الأخرى فما  
تناهتا عن قولها فأتنا عليّ أحدهما . فقلت : هن مثل الخشبة  
غير أني لا أكني فانطلقتا تولاولان وتقولان :

لو كان هاهنا أحد من أنفارتنا . فاستقبلها رسول الله ﷺ

---

(١) مدرة : قطع الطين من التراب الملبد

(٢) نصب أحمر : صنم واحمراره لشدة الضرب

(٣) ليلة قمرء اضحيان : مضيئة منورة

(٤) السماخ : الاذن والمعنى وضرب على اذانهم فناموا

(٥) أساف ونائلة : روى ابن نجيع أنها رجل وامرأة حجا من الشام

فقبل الرجل المرأة ومما يطوفان فسحبا حجرين ولم يزالا في المسجد حتى جاء  
الإسلام فأخرجاه منه

وأبو بكر وهما هابطان . قال : مالكما ؟ قالتا : الصابيء بين  
الكعبة وأستارها . قال : ما قال لكما ؟ قالتا : إنه قال لنا  
كلمة تملأ الفم وجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحجر وطاف  
بالبیت هو وصاحبه ثم صلى . فلما قضى صلاته قال أبو ذر :

فكنت أول من حياه بتحية الإسلام . فقلت : السلام عليك  
يا رسول الله . فقال : وعليك ورحمة الله ثم قال : من أنت :  
قلت : من غفار .

فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته فقلت في نفسي : كره  
أنى انتهيت إلى غفار . فذهبت آخذ بيده فقد عني<sup>(١)</sup> صاحبه  
وكان أعلم به مني ثم رفع رأسه ثم قال : متى كنت ها هنا ؟

قلت : قد كنت ها هنا منذ ثلاثين بين يوم وليلة . قال :  
فمن كان يطعمك ؟ قلت : ما كان لي من طعام إلا ماء زمزم  
فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على كبدي سخفة  
جوع قال : إنها مباركة إنها طعام طعم . فقال أبو بكر : يا رسول  
الله ائذن لي في طعامه الليلة فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر  
فانطلقت معها ففتح أبو بكر باباً فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف  
وكان ذلك أول طعام أكلته بها ثم غبرت ما غبرت ثم أتيت رسول الله

---

(١) قد عني : منعني وكفني



ﷺ فقال : إنه قد وجهت لي أرض ذات نخيل لا أراها إلا  
يثرب، فهل أنت مبلغ عني قومي عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك  
فيهم . فأتيت أنيساً فقال : ما صنعت ؟ قلت : صنعت أني قد  
أسلمت وصدقت قال : ما بي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت  
وصدقت . فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفاراً فأسلم نصفهم وكان  
يؤمهم إيماء بن رخصة الغفاري وكان سيدهم وقال نصفهم : إذا  
قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا فقدم رسول الله ﷺ المدينة  
فأسلم نصفهم الباقي وجاءت أسلم فقالوا : يا رسول الله نسلم على  
الذي أسلموا عليه فأسلموا . فقال رسول الله ﷺ : غفار غفر  
الله لها ، وأسلم سالمها الله .

هذا وتطالعنا رواية أخرى أثبت البخاري نصها في صحيحه  
وهي مروية عن ابن عباس رضي الله عنه فسأضعا بجانب أختها  
لنتمكن بعد من إيضاح الجوانب الهامة في إسلام هذا المسلم  
العظيم (١) .

« لما بلغ أبو ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه : اركب هذا  
الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من  
السماء اسمع من قوله ثم ائتني . فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من

---

(١) البخاري في صحيحه عن عمرو بن عباس عن عبد الرحمن بن مهدي  
عن المثني عن أبي حمزة عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قوله ثم رجع إلى أبي ذر فقال له : رأيتك يا أبا ذر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر .

فقال : ما شفيتني مما أردت فتزود وحمل شنة<sup>(١)</sup> له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فرآه علي فعرف أنه غريب . فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منها صاحبه عن شيء حتى أصبح ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى فعاد إلى مضجعه فمر به علي فقال : أما للرجل أن يعلم منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل أحدهما صاحبه عن شيء ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعاد علي مثل ذلك فأقام معه ثم قال : ألا تحدثني ما الذي أقدمك ؟ قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت ، ففعل فأخبره قال : فإنه حق وهو رسول الله ﷺ .

فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل . فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه فسمع منه وأسلم مكانه .

فقال له النبي ﷺ . إرجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتبك

---

(١) الشنة : قربه ماء صغيرة .

أمرني قال : والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم ،  
فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا  
الله وأشهد أن محمداً رسول الله . ثم قام القوم فضربوه حتى  
أضجعوه ، وأتى العباس فأكب عليه ، قال : ويلكم أستم  
تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم إلى الشام فأنقذه منهم  
ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا عليه فأكب العباس عليه .

ولكي نستكمل الصورة لإسلامه نضطر إلى التعرض لرواية  
ثالثة أوردها ابن سعد في طبقاته تجمع إلى حدٍ ما بين عناصر  
الروایتين السابقتين تثبت نصها فيما يلي :

أخبرنا محمد بن عمرو قال : حدثني نجیح أبو معشر قال :

كان أبو ذر يتأله في الجاهلية ويقول : لا إله إلا الله ، ولا  
يعبد الا صنم فمر عليه رجل من مكة بعد ما أوحى إلى النبي  
ﷺ فقال :

يا أبا ذر إن رجلاً بمكة يقول مثل ما تقول لا إله إلا الله ،  
ويزعم أنه نبي قال : فمن هو ؟ قال : من قريش . قال : فأخذ  
شيئاً من بهش وهو المقل<sup>(١)</sup> فتزوده حتى قدم مكة فرأى أبا بكر

---

(١) البهش : المقل ما دام رطباً والمقل ثمر شجرة الدوم وهي شجرة  
تشبه النخلة

يضيف الناس ويطعمهم الزبيب ، فجلس معهم فأكل ثم سأل من  
الغد : هل أنكرتم على أحدٍ من أهل مكة شيئاً ؟

فقال رجل من بني هاشم : نعم ابن عم لي يقول : لا إله إلا  
الله ويزعم أنه نبي قال : فدلني عليه ، فدلته والنبي ﷺ راقداً  
على دكان<sup>(١)</sup> قد سدل ثوبه على وجهه فنبهه أبو ذر فانتبه فقال :  
أنعم صباحاً ، فقال له النبي : عليك السلام . قال أبو ذر :  
أنشدني ما تقول .

فقال : ما أقول بالشعر ولكنه القرآن وما أنا قلتة ولكن  
الله قاله . قال : اقرأ علي ، فقرأ عليه سورة من القرآن فقال أبو  
ذر : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسوله . فسأله النبي  
ﷺ ممن أنت ؟ قال : من بني غفار .

فعجب النبي ﷺ ، أنهم يقطعون الطريق ، فجعل النبي يرفع  
بصره فيه ويصوبه تعجباً من ذلك لما كان يعلم منهم ثم قال :

إن الله يهدي من يشاء ، فجاء أبو بكر وهو عند رسول الله  
ﷺ فأخبره بإسلامه فقال له أبو بكر : أليس ضيفي أمس ؟ .  
فقال : بلى . قال : فانطلق معي فذهب مع أبي بكر إلى بيته

---

(١) الدكان : المسطبة .

فكساه ثوبين ممشقين فأقام أياماً ثم رأى امرأة تطوف في البيت  
تدعو بأحسن دعاءٍ في الأرض تقول :

أعطني كذا وكذا وافعل بي كذا وكذا ثم قالت في آخر ذلك :

يا أساف ويا نائله . قال أبو ذر : أنكحي أحدهما صاحبه .  
فتعلقت به وقالت : أنت صابيء ، فجاء فتية من قريش فضربوه  
وجاء ناس من بكر فنصروه وقالوا : ما لصاحبنا يضرب وتتركون  
صبايكم ؟ فتجازوا فيما بينهم فجاء إلى النبي ﷺ فقال :

يا رسول الله أما قريش فلا أدعهم حتى أثأر منهم ، ضربوني  
فخرج حتى أقام بعسفان ، وكان كلما أقبلت غير لقريش يحملون  
الطعام فيضربهم على إثنية غزال فتبقي أحماها فجمعوا الحنط ،  
يقول أبو ذر لقومه :

لا يمس أحد حبة حتى تقولوا لا إله إلا الله ويأخذون  
الغنائم<sup>(١)</sup>.

والرواية الأخيرة التي بقيت وإن كانت لا تحوي شيئاً جديداً  
عن أخواتها السالفات . نذكرها لنستجمع عناصر الصورة في  
جميع جزئياتها فلا حرج أن يترك الحديث لحفاف بن إيماء بن رخصة سيد

---

(١) الغنائم : جوائز القمح وأكياسه

بني غفار يحدثنا عن إسلام أبي ذر<sup>(١)</sup> .

قال : كان أبو ذر رجلاً يصيب الطريق وكان شجاعاً ينفرد وحده بقطع الطريق ويغير على الصرم في عماية الصبح على ظهر فرسه أو على قدميه كأنه السبع فيطرق الحي ويأخذ ما يأخذ . ثم إن الله قذف في قلبه الإسلام وسمع بالنبي ﷺ وهو يومئذ يدعو بمكة متخفياً فأقبل يسأل عنه حتى أتاه في منزله .

وقبل ذلك قد طلب من يوصله إلى رسول الله ﷺ فلم يجد أحداً فانتهى إلى الباب فاستأذن فدخل ، وعنده أبو بكر وقد أسلم قبل ذلك بيوم أو يومين وهو يقول يا رسول الله والله لا نستسر بالإسلام ولنظهرنه فلا يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً . فقلت : يا محمد إلامَ تدعو ؟ قال : إلى الله وحده لا شريك له وخلع الاوثان وتشهد أني رسول الله ثم قال أبو ذر : يا رسول الله إني منصرف إلى أهلي وناظر متى يؤمر القتال فألحق بك فإني أرى قومك عليك جميعاً . فقال رسول الله ﷺ : أصبت فانصرف فكان يكون بأسفل ثنية غزال فكان يعترض لعيرات قريش فيقتطعها فيقول : لا أرد إليكم منها شيئاً حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فإن فعلوا رد عليهم ما أخذ منهم وإن أبوا لم يرد عليهم شيئاً . فكان على ذلك حتى هاجر

---

(١) رواه محمد سعد عن أبو بكر بن عبدالله بن أبي سيرة عن يحيى بن شبل عن خفاف بن إيماء بن رخصة الغفاري

رسول الله ﷺ ومضى بدر وأحد ثم قدم فأقام بالمدينة مع النبي ﷺ .

هذا كل ما أثبتته المصادر الموثوقة عن إسلام أبي ذر .

والذي يعنينا من هذا السرد ، هو التعرف على النواحي الإيجابية الجديدة التي تطالعنا به هذه الروايات . ولا يضير أن يوجد بعض الخلاف في عدد الأيام التي مكث أبو ذر بها في المدينة ، أو الرفيق الذي صاحب أبا ذر إلى رسول الله ﷺ . فما كان لأمثال هذه الأمور أن تغض من شأن الدراسة أو تفقدها شيئاً من قيمتها . وإن كان بالإمكان في غير هذين الأمرين البسيطين أن نعتبر هذه الروايات جميعاً مكملات لبعضها البعض لا متناقضة أو متضاربة (١) .

---

(١) من الاختلاف الوارد بين الروايات ما يلي:

في رواية مسلم ، فمكث ثلاثين من بين يوم وليلة وما لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع.

بينما نجد في رواية البخاري عن ابن عباس أن أبا ذر مكث ثلاثة أيام يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى التقى بعلي وأخذه سراً .

والنقطة الثانية التي يظهر بها تناقض بين الروايات أنه في رواية مسلم قد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ، وفي رواية ابن سعد أنه لقي رجلاً من بني هاشم أخذ بيده للرسول صلوات الله عليه . وفي رواية البخاري أنه لقي علياً . ←

فنحن نرى في كل النصوص السابقة أن حبه للحقيقة وكفه  
بها وحرصه المستميت للوصول إليها ، دفعه للمسير من غفار  
إلى مكة متحدياً لهب الصحراء وصعوبة المنطلق وغير عابئٍ  
بحمم الشمس أو صفير الرياح ، لم يسيره طمع في مال أو رغبة في  
حطام أو أمل في منصب . بل مضى إلى مكة ليعالج الحقيقة  
عن كذب ، يروي ظمأه الفكري ، وشوقه العقيدي باحثاً عن  
النور في مركز إشعاعه ، لاهثاً خلف الأمل البارق أمامه ، عله  
يجد به طمأنينة عقله المتوثب وفكره الطلعة .

ولو أردنا أن نبحث في ذلك المجتمع عن مثيل لأبي ذر في  
حرصه على الحق قبل أن يغزو نور الحق قلبه لما وجدنا له مثيلاً  
أكثر من اثنين أو ثلاثة وهم الذين عرفوا بالمتألهين .

---

→ أعتقد أن في هذه الروايات جميعاً تكامل لا تناقض .

فنحن لا نجد في رواية مسلم أنه أسلم رغم أنه لقي رسول الله وأبا بكر  
حق قوله ، فغبرت ما غبرت .

فإذا وضعنا رواية البخاري في التسلسل بعد رواية مسلم . وجعلنا رواية  
البخاري شرحاً للكلمة التي وردت في رواية مسلم ( فغبرت ما غبرت ) أي  
غبت ما غبت . حيث عاد ثانية ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بواسطة علي . وبذلك تتم الروايتين . فيكون الوضع أنه استمر خمسة عشر  
يوماً يبحث حتى التقى برسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، ثم غاب  
ثلاثة أيام هي التي لقي فيها علياً وذهب معه وأسلم على يديه . وتم اللقاء التالي  
الذي يحدثنا عنه مسلم في صحيحه . ويتمه البخاري حيث يحدثنا عن صراخ  
أبي ذر في ظهرائهم .



إننا قد نجد بمحض الصدفة امرءاً عربياً في مكة أتى لتجارة  
أو حج أو حاجة فاصطدم وجهاً لوجه أمام الحقيقة ، وسار به  
الركب نحو حظيرة الاسلام . أما أن يأتي للغاية نفسها لا يحدوه  
السير إلا لها فهذا لم نعهده في الفتى العربي آنذاك ، وهذا ما  
يفسر لنا حرصه على ما يؤمن به كي يثبتته ويعمق أغواره .

كما تجمع النصوص كذلك على أنه لم يأل جهداً في البحث  
عن رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه ، بحكمة واتزان  
وروية ، ولم يثنية عن غايته مطمع أو مطمح ، وكان بإمكانه  
ذلك لو شاء . إذ أن مكة دار التجارة ، وبلد الربح ومركز  
النقل آنذاك ، وما يمنعه من ذلك خوف من حساب في الآخرة  
أن يفقد ثواب رحلته إن أشرك بها شيئاً من سفاسف الدنيا  
ومغرياتها .

وحين نعود إلى النص الذي أثبتته مسلم والبخاري وابن سعد  
فنجد لدينا ثلاث روايات تؤكد ما لاقى من إيذاء في سبيل  
عقيدته منذ اللحظة الأولى ، وليتأكد من تأثير الاسلام العجيب  
في نفسه نجد كيف أنه رضي المقام أياماً ثلاثة على رواية البخاري  
 وخمسة عشر يوماً على رواية مسلم ، وهو خائف وجل أن يطلع  
أحد على غايته ، وما أن قذف الله في قلبه الاسلام حتى تحول  
الرجل ثقة وعزماً ، والخوف جرأة وبسالة . فخاطب قائده  
الذي أسلم بين يديه قائلاً :

والذي نفسي بيده لا صرخن بها بين ظهرانيهم .

فإذا به نتيجة ذلك الإصرار يهيج مكة كلها عليه . ويعرض نفسه - وهو الغريب النائي - الى غضب قريش تصب جام حقدھا عليه . يلقي الضرب من الجمع فما يتأوه أو يتراجع ، وتنزف الدماء منه فما يتوانى أو يخور ، وتتفجر جراحاته فما يستسلم أو يهون ، وتنخلع أضلاعه ولا يخلع ربقة الإسلام من عنقه في الوقت الذي لم يكن فيه للإسلام معين ولا نصير . ولم يكن فيه لمحمد مؤازر ولا وزير يعلم ذلك كله ، ويقبل العذاب كله في سبيل الله .

كما وأننا نرى في الروايتين الاخيرتين. أنه إن فاته أن يتمكن من قريش في بلدها وبين ظهرانيها نلقاه يقول لقائده عليه الصلاة والسلام :

يا رسول الله أما قريش فلا أدعهم حتى أثار منهم ، ضربوني إنه يرى أن المعركة لم تنته بعد ، وأن ثنية غزال في انتظاره وهو الذي كان يغير على الصرم في عماية الصبح . وشتان بين غابتين .

كان يغير من قبل كالسبع طمعاً في الفريسة ، وحرصاً على اللقمة ، ينتزعها من أشداق المتخمين والخائرين على السواء . أما الآن فلا يريد طعام قريش ولا غيرها ولا حنطها ، إنه يريد

العزة لعقيدته ، والثأر لدينه لا لنفسه . فيقول بعد أن يقطع العير ويمسك الحرس :

« لا أرد إليكم منها شيئاً . حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله فإن فعلوا رد عليهم ما أخذ منهم وإن أبوا لم يرد عليهم شيئاً فكان على ذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ ومضى بدر وأحد والختدق .

لم يكن لفتى غفار أن يصبر على الضيم ، أو يغضي عن الأذى إلا بمقدار ما توجهه عقيدته الغائرة في أعماق قلبه . نعم لقد كان شجاعاً قبل الإسلام . ولكن كان لشجاعته حد تقف عنده ، أن لا يتعرض لتحدي مدينة كاملة . لأنه لا سند له إلا يديه وساعديه وقلبه الجريء .

أما الآن وبعد أن وصل قلبه بالله ، وارتبط برباط السماء ، إذ بهذه الشجاعة تنطلق من عقالها ، تتحدى قريشاً كلها ، وتصرخ بين ظهرائهم بعقيدة التوحيد ، ويعلم أنهم لا بد قاتلوه . ولكنه إن قتل الآن فهناك في العالم الآخر جنة ينعم بها برضاء خالقه ، ورضاء هاديه . وهذا هو المحول العجيب الذي أطلق شجاعته من عقالها ، وفك برائتها وقيودها . فالذي ينتظر قبل الإسلام خمسة عشر يوماً تقل أو تزيد . يبحث فيها عن المستضعف الذي لا ضرار منه يسأله ، وعن المرأة يستفتيها بحذر عن الصابىء .

هذا النوع لا يحمله اليوم إيمانه لحظة واحدة دون أن يصرخ بين  
ظهراني أعداء الله بـ لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

وهذا شأن الإسلام مع كل جنوده وأتباعه ، فلقد حول كل  
ما لديهم من طاقات ، ثم استفاد منها وامتصها ، ثم جعلها  
ذات هدف أعلى من الأرض ، وغاية أسمى من السماء . ربط كل  
الأعمال بالله ونظمها بحيث تعطي أكرم النتائج وأفضل الثمر .  
فلقد حولت الصعاليك من قطاع الطرق في الجاهلية . إلى قادة  
المجاهدين في سبيل الله ، وهداة ركب الإنسانية الطويل . وعلى  
رأسهم أبو ذر الغفاري رضي الله عنه .

ومما تجمع الروايات عليه كذلك ، أنه استمر في غفار حتى  
مضت بدر وأحد والخنندق ، وأنه عندما عاد إلى المدينة كان  
معه كل قومه حيث أسلموا على مرحلتين .

فأسلم نصفهم وكان يؤمهم إيماء بن رخصة الغفاري وكان  
سيدهم وقال نصفهم ، إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا  
فقدم رسول الله المدينة فأسلم نصفهم الباقي وجاءت أسلم فقالت :  
نسلم على الذي أسلموا عليه فأسلموا عليه فقال : غفار غفر الله لها  
وأسلم سالمها الله .

وفي النص الذي رواه إيماء بن رخصة :

« ومضى بدر وأحد ثم قدم فأقام بالمدينة مع النبي ﷺ » كما

تشير معظم النصوص إلى أنه كان خامس خمسة من أول من أسلم  
فلقد أتى في فجر الدعوى ثم مضى إلى بلده حتى كان نزوله  
المدينة بقومه جميعاً .

وقد دخل الايمان قلوبهم وأعلنوا ولائهم لرسول الله صلوات  
الله وسلامه عليه .

تري كيف أسلمت قبيلة غفار؟؟

إكتفينا أن قرأنا هذا النص وهل تم إسلامهم بهذه السهولة ،  
بكلمة بسيطة ألقاها أبو ذر فأمنت غفار نصفها أو جميعها؟؟ أم  
بدعوة واحدة من أبي ذر انقلب الغفاريون من مشركين إلى  
مؤمنين؟؟ وإذن فقيم استمر أبو ذر ما ينوف عن سبعة عشر  
عاماً في قومه وما يقارب خمسة أعوام بعد الهجرة دون أن يقدم  
إلى المدينة وينصر رسول الله صلوات الله عليه؟؟

إن أمثال هذه التساؤلات تطلعنا على جانب من أعظم  
الجوانب لدى الفقي الغفاري ، فتقدم لنا أبا ذر الداعية الدؤوب  
الذي لا يني سبعة عشر عاماً يدعو إلى الله ورسوله ، يتخطى  
الصعاب ، ويتجاوز العقبات من عناء قومه وتعنتهم بعقائدهم  
وتمسكهم بآلهتهم .

لم تمض هذه السنوات الطوال عبثاً، بل كانت جهاداً وكفاحاً  
مع الصبي والمرأة والشيخ من غفار ، يدعوهم إلى نبذ الشرك

وإعلان العبودية لله وحده . بعد أن كانوا يقدمون الولاء لمناة يذبحون له القرايين ، ويستسقون به المطر ، ويستشفون به المرضى .

بينما يقف أبو ذر أمام سيلهم العرم ليدهم على منبع النور ، وطريق الهداية .

إن تاريخ دعوة كامل في غفار مطوى عنا ، كان بطله وفارسه المعلم أبا ذر الغفاري ، الذي انتزع نفسه من سيطرة اللقمة وشهوة البطن ليجعل نفسه تحت سلطان دعوته وعقيدته الجديدة ، ولئن كان منتهى أحلامه من قبل أن يسطو على بعير زبيب أو ناقة حنطة . فلقد أصبح منتهى أحلامه اليوم أن يضم إلى قافلة الايمان جندياً جديداً ولو كان صبياً صغيراً ، وكان يحلم أن يتحرك نحو المدينة بكل قومه يرفعون لواء التوحيد لا يخافون لومة لائم وتم له ما أراد .

وبم كان يجاهد أبو ذر ؟

أين تلك الكتب الضخمة والمجلدات الكبار والمؤلفات الطوال التي كان يعتمد عليها ويطالعها ليشرحها لأتباعه وخصومه ؟؟؟ يناقشهم بها ويطلعهم على نفائسها ويدلى بالحجة تلو الحجة منها ، أيقروهم إياها . كما نملك نحن اليوم في مكتبتنا الاسلامية .

بل قل بأوضح وأدق من ذلك .

أين ذلك الكتاب المحكم من القرآن الكريم الذي يحتوي على

مئة وأربعة عشر سورة مجموعة إلى بعضها مبوبة ، ومطبوعة  
طباعة أنيقة ، وسهلة الاقتناء ، وتلك الشروح والتفاسير التي تملأ  
الجو العام أنى سار المرء وحيثما اتجه ؟؟

أين كان ذلك المصدر الوحيد والنبع الأصيل الذي كان يجاهد  
به أبو ذر في صحرائه وبيده ؟؟

بم جاهد أبو ذر !؟

ليت الدعاة إلى الله يقفون عند هذه النقطة ملياً . حين  
يتأففون من قلة النتاج الإسلامي ، وندرة النظريات الإسلامية  
الكبرى في الاعتقاد والسياسة والاجتماع والقضاء .

إنهم يعتقدون أن كل تقصير مغفور لهم . لماذا ؟

لأن الكتاب الإسلاميين مقصرون . وحتى في مجال القصة  
والمقالة والمسرحية ماذا ينتجون ويكتبون ويؤلفون ؟؟

وأين تلك الاجتماعات المنظمة المتواصلة التي كان يتصل بها  
مع قيادته في مكة ؟؟ . حيث يسألها عن النشرات الفكرية  
للدعوة الجديدة ، وعن تطورات الموقف السياسي ، وعن نشاط  
حركة الإسلام وتقدمها . وكيف كان يلقي أتباعه الذين آمنوا  
معه ، وهو يحدثهم أن المستقبل للإسلام . وأين بشائر ذلك  
والأنباء تتوالى عن اعتقالات في صفوف دعاة الإسلام في مكة ،

وأين دلائل النصر والأخبار تتوارد عن التعذيب الوحشي الذي  
كان ينزل بالمؤمنين في مكة ؟ ؟

وأين بوارق الأمل في عون الله وأسماء القتلى والمعتدين  
والغارين والمنفيين قد ملأت أسماع غفار ؟ ؟

أين تلك المشجعات ؟ أين تلك الصلات ؟

وبم جاهد أبو ذر ، وبم كان يدعو أبو ذر ؟

نعم لقد كان يدعو إلى الله لا بالمجملات ، وأين الكتاب  
آنذاك في صحراء العرب ! ! ولا حتى بالقرآن . وماذا كان  
نزل من القرآن عندما زار أبو ذر مكة وكان خامس خمسة من  
الذين .

هل تتجاوز الآيات التي سمعها أبو ذر وهو في مكة عدة  
صفحات من صفحاتنا اليوم ؟ وهل تتجاوز مقدمات لعدة سور  
قصيرة نزلت في مستهل الدعوة .

هذه الآيات القلائل المعدودة على الأصابع . كان أبو ذر  
يخبر الناس إلى الله ، دونما صلة ولا مكاتبة ، ولا لقاء أو حديث  
تخفوني .

هكذا فقط باجتماع واحد وعدة آيات ، كانت كافية لتمد  
قر الغفاري سبعة عشر عاماً طوالاً ، وهو يدعوهم إلى الله



وحده ويسألونه عن الوثائق فيتلو عليهم هذه الآيات التي سمعها ذات يوم وفي قديم الزمان من قائده عليه الصلاة والسلام .

ليس بالأمر الزلول السهل أن تكون جلسة ساعات مع قائد الدعوة محمد ﷺ . فتبقى هذه الساعات سبعة عشر عاماً أو تزيد . يستمد أبو ذر من وحيها الصبر والتضحية ، ويقبس من روحها الهدى والنور ، وتكون مداداً للروح والفكر والقلب دون أن يعتريه انفصام أو انقطاع .

نقول هذا ونحن في المجتمع الذي يسمع النصيح بكرة فما يمدده للعشي ، ويتعظ مساء ليتغير مع الصباح . مجتمع لا تدمه الكلمة في فم الزمن أكثر من فترة صداها ثم تمضي وكأنها ورقة في مهب الريح ، وكأن لم يكن من عظة أو نصيحة أو رشاد .

إن السر الذي يكمن وراء هذا الثبات العجيب والتضحية الفذة ، والإخلاص النادر نستطيع أن نعيده إلى نقطتين اثنتين:

أولاهما : إيمانه العميق الجذور فيما يدعو إليه ؛ الذي لا يعرف التزعزع والشك والتردد . فهو يدعو بحرارة وإخلاص من أعماق قلبه وأغوار جوارحه ، صادق فيما يدعيه . ينفذ كل ما يقوله قبل أن يفوه به ، يطبق ما يدعو إليه وأبعد مدى مما يدعو إليه قبل أن يلهج بدعوة غيره لتنفيذه وتحقيقه .

ثانيهما : خلوصه من حظوظ نفسه وسلطان شهوته ، وسيطرة

أهوائه فلقد نقت نفسه وبرؤ قلبه وارتفع فوق كل غاية أو  
مطمحٍ أو أملٍ إلا رضا الله وحده .

هاتان الصفتان في رأيي هما سر نحاحه في دعوته وثباته عليها  
ينهد الصخر ولا يتزعزع ، ويتزعزع الجبل الأشم ولا يتراجع .

لقد كان سر خلوده كامناً في هاتين الصفتين يدل على ذلك  
قول الرسول ﷺ عنه فيما رواه أبو داود بسند جيد .

ما أقلت الغبراء ، ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق من  
أبي ذر .

وهذا هو السند الأكبر للسبب الأول .

أما السبب الثاني للنجاح ، ما روي عن رسول الله ﷺ  
قوله :

أبو ذر في أمي على زهد عيسى بن مريم عليه السلام .  
ويكفيها هذان الشاهدان من الرسول ﷺ ، وأكرم بهما من  
شهادة وإجازة وإيضاح .

فالصدق عند أبي ذر لا بالمفهوم النظري الذي يتحدث عنه  
الفلاسفة في الكتب ونلقنه ونحن صغار على مقاعد الدرس ،  
وانتهى الأمر .

بل الصدق الذي يترجم عملاً وبطولة وتضحية .

كلمات خالدات تطرق مسامع أبي ذر في مكة فذهب بها كنزاً نفسياً يستمر سبعة عشر عاماً يدعو بها قومه حتى يهدي الله بها غفاراً كلها .

الصدق في القول ، فقد أسلم فتى غفار صادقاً دون ريب .  
والصدق في العمل ، فلن يرتاح ضمير ابن جنادة حتى يرى كل قومه أسلموا ليكون صادقاً في ادعائه .

إنه الزمن يتبارى وأبا ذر ليمتحن صبره وجلده طيلة هذه الأعوام الطوال .

وينهزم الزمن ويثبت صدق أبي ذر .

ولن يتمكن دعاة الإسلام اليوم بغير هذين العنصرين من الزهد والصدق أن ينالوا الثمرة المرجوة من الدعوة ، والغاية المرجاة من الجهاد .

الزهد : يجعل المسلم الداعية أعظم من الدنيا فلا تستهويه ، والصدق يجعل المسلم الداعية مندفعاً إلى هدفه لا يلويه عنه عقبة ، حتى يبلغ الغاية أو يموت دونها .

ولمثل هذه الروح الخالدة ندعو حملة مشعل الإسلام اليوم أن تكون صلتهم بالله وحده ، إنهم قد يمرون في ظروف قاسية ، وليالٍ كالحة ، فتقطع كل أواصر الدنيا من الأهل والأقارب ،

حتى الإخوة الدعاة ، ويصبح المسلم وحيداً لا معين ولا نصير .  
فيستمر الراكب سائراً ولو كان الراكب وحده . لأن علاقته  
بخالقه وبارئه قبل أن تكون علاقته مع العبيد وعالم العبيد .

إننا لن نحقق غايتنا ولوثة الدنيا تستمرع في قلوبنا ، وحب  
الحياة أصيل في نفوسنا . فيكون لساننا في وادٍ وواقعنا  
في آخر .

أما آخر ما نلاحظه في رواية إسلام أبو ذر . أنه أنقذ من  
بطش قريش بواسطة العباس على أصح الروايتين ، وواسطة  
قتبان بني بكر على الرواية الأخرى .

وذلك عندما ذكرهم بقوله :

ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم  
إلى الشام ؟

فأنقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا عليه فأكب  
العباس عليه .

لقد حماه العباس مرتين بعد ضرب مبرح له . ولا شك أن  
أبا ذر حفظ هذا الولاء للعباس ولبنى هاشم . فقد كان في  
مواقفه العملية دائماً بجانب بني هاشم حفظاً للود ورعاية  
معروف ، وما رواه البخاري من إسلامه على يد علي بن أبي

طالب رضي الله عنه . جعل منه بشكل أصيل متأثراً ببني هاشم عامة وعلي خاصة .

والعجيب في قريش أنها ما ترعوي عن إيذاء الغريب إلا إذا هدت في مصالحها . ولقد كان العباس بن عبد المطلب خبيراً بطينة قومه ، عارفاً بمثلهم ومبادئهم . فلو قام يناديهم بإسم نصره الغريب وحماية الضعيف لما وجد أذنأ صاغية له ، ولما تركوا أبا ذر دون أن يجهضوا عليه . لأن تعلقهم بآلهتهم وتعرض أبي ذر لها أثار كامن حقدهم ، فوجدوا مجالاً رحيباً للتنفيس عنه .

لكن عندما تتعارض مصالحهم مع عقائدهم . يضربون بهذه العقائد عرض الحائط . وبذلك تتضح هويتهم على حقيقتها ، وتبدو النفسية المادية بجلاء ووضوح بالنسبة لهم . ومن أجل ذلك وجدنا أبا ذر يثار منهم في أمس شيء بنفوسهم ، ويتعرض لقوافلهم وغيرهم ، ويقاوم العنف بالعنف فلا يرد لهم شيئاً مما يتجروا به حتى يقولوا لا إله إلا الله .

إن المحوّل العجيب الذي احتك بأبي ذر استطاع أن يبرز لنا من جديد :

الشجاعة اللامتناهية التي لا تعرف الحدود . والصدق الخالد الذي لم يعرف له مثيل في التاريخ بشهادة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

والعفة العظيمة في النفس ، والترفع على حطام الدنيا في سبيل الله فيعيد برضا نفس كل ما سلبه من القوافل حين يرضى حراسها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

والبحث العميق الجاد وراء الحقيقة حتى ليسأل أكثر من مرة ، وأكثر من إنسان ليكون على بينة من هذا الدين الجديد والنفسية العظيمة التي لا تعرف الصبر على الضيم ، ولا تسكت على إهانة أو إيذاء .

لكنها النفس المنصهرة في العقيدة والعقيدة المنصهرة في النفس ، حتى كأن نفسه وعقيدته غداً شيئاً واحداً لا تميز بينهما ولا تفريق .

وأخيراً الثبات العظيم على الحق ، والنظافة من أوشاب الدنيا وأوضارها ، كما روى الامام أحمد عنه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام :

إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة ، من خرج من الدنيا كهيئته يوم تركته فيها .

والله ما منكم من أحد إلا تشبث فيها بشيءٍ غيري .

من طلاقة الصحراء وفوضى الجاهلية إلى التزام العقيدة وتنظيم الطاقات وإبراز المواهب .

كان دور الاسلام مع صعلوك الصحراء أبي ذر الغفاري .

## مَعَ قَائِدِ الدَّعْوَةِ

أدى أبو ذر مهمته ونزل بالغفاريين في يثرب ومضى يبحث  
عن بغيته بين يدي قائد الدعوة وصاحب الرسالة .

ما له ولنخل يثرب وعنبها وأرضها . إن خشونة البداوة  
تجعل طبعه ينفر من الرفاهية والالتصاق بالتراب والأرض .  
فلذلك أهله والمختصون به ، أما صعلوك الصحراء بالأمس يريد  
اليوم أن يتفياً ظلال محمد عليه الصلاة والسلام . يرشف من  
معينه ، وينهل من نبعه علماً وحكمة وهدى ونوراً . إنه الآن  
الجندي الذي تتلمذ على يدي قائده ، ويتلقى توجيهاته . ينصر  
بسوتقة الايمان والعقيدة ، ويكون من اللبئات العظيمة التي  
يصوغها سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه .

إته ترب المسجد وابنه ، يكفيه من حياته الرمق . هم  
الصحبة في المدينة أو المعركة ، يؤدي مهمة أو يتلقى دراسة ،  
يحمل سيفاً أو يصغي لدرس . له مع رفاقه أصحاب الصفة  
غاية واحدة .

أن يخلصوا من حظوظ الدنيا وقيودها ، ويكرسوا حياتهم  
للعلم والجهاد .

أما علو كعبه في العلم . فلنستمع إلى أمير العلماء بعد  
رسول الله ﷺ يتحدث عنه ؛ لنستمع إلى علي بن أبي طالب  
يتحدث عن أبي ذر الغفاري بهذا الشأن .

فقد سئل علي رضي الله عنه عن أبي ذر (١) .

قال : وعى علماً عجز فيه وكان شحيحاً حريصاً ، شحيحاً  
على دينه ، حريصاً على العلم ، وكان يكثر السؤال فيعطى ويمنع  
أما إنه قد ملأ له في وعائه حتى امتلأ . فلم يدروا ما يريد بقوله :  
وعى علماً حتى عجز فيه .

أعجز عن كشفه أم عن ما عنده من العلم ، أم عن طلب  
ما طلب من العلم إلى النبي ﷺ ؟ ؟

وفي رواية لأبي داود بسند جيد عن علي قوله :

أبو ذر وعاء ملء ثم أدلى عليه .

فالمهم أن علمه كان غزيراً لا يجاري في ذلك أحد . ولا غرو  
في ذلك إذ أن النبي ﷺ هو الذي كان يتعهد هذا الغرس الكريم

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى عن حجاج بن محمد عن ابن  
جريح عن أبي حرب بن الأسود عن أبيه .



بالتربية والرعاية . ونجد مصداق ذلك فيما أخرجه الطبراني من حديث أبي ذر .

كان رسول الله يبتدىء أبا ذر إذا حضر ويتفقدده إذا غاب .

إنه الرسول المربي الذي يعرف ما لدى صحبه من طاقات ومواهب فيغذيها وينميها ، ويحس بالشعور الصادق العميق منهم نحو النهم العلمي ، والولع في المعرفة ، فيفتح الباب على مصراعيه أمام الراغبين في العلم . بل يعطيهم أكثر مما يأملون ، فلم يكن يكتفى عليه الصلاة والسلام أن يحدث أبا ذر داعية غفار إذا لقيه . بل كان يسأل عنه حين يغيب ، ويبتدئه بالحديث قبل أن يسأل ما يجب . لأن رسول الله كان يعد له مهمة بعيدة المدى عميقة الغور . بينما نجد في الصورة المقابلة توجيهاً أدق وأعمق . وذلك حين يحلو لأبي ذر أن يسأل الإمارة ؛ كما كان عليه الصلاة والسلام يؤمر ببقية أصحابه . فما المانع إذن أن ينال ما نال إخوته من الشرف على يد قائد الدعوة صلوات الله عليه ؟

وكان الجواب واضحاً جلياً لا لبس فيه .

« إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، إنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها » .

لم يكن التوجيه النبوي إذن عبارة عن تجاوب عاطفي فقط ، أو رأي سريع مرتجل . بل كان هناك تخطيطاً شاملاً

من القائد الأعظم ﷺ . يضع فيه كل جندي من جنوده في المكان المؤهل له .

ولم يكن هذا ضعفاً أو عيباً في جانب من الجوانب عند هؤلاء الصحب . فليس عندنا امرؤ متكامل في الصفات والمؤهلات والطاقات . بل كانوا جميعاً متكاملين عندما التقوا مع بعض قأدى كل منهم اختصاصه الذي أوكل إليه ومسؤوليته التي أسندت إليه .

اختاره النبي ﷺ للجندي والدعوة فكان حرياً بها .

ولم يكن خليقاً بالإمارة لأنه ضعيف ؛

أهو ضعف البنية التي كانت لدى أبي ذر ؟؟

أهو ضعف الدماغ المخطط والعقل العبقري المدبر ؟؟

أهو ضعف التكوين في التأثير لأول مؤثر ؟؟

لا ندرى ، فقد يكون هذا كله أو شيئاً منه . إنما كل الذي نعلمه أن إمام المربين عليه الصلاة والسلام صرف أنظار جنديه الحبيب عن الإمارة والقيادة . بعد أن حدد له مجاله ، وبين له اختصاصه وكشف اختصاصاته .

ففي الوقت الذي كان يبتدىء فيه أبا ذر ويفتقده إذا غاب . كان يصرفه عن الولاية ، ويحدثه عن ضعفه أمام ثقل

الأمانة في الإمارة والحكم ، وعسير الحساب عليها أمام الله لمن لا يؤديها حقها .

وأبو ذر سعيد فيما أعطى ، وسعيد فيما منع .  
لأن النبي لا يعطي إلا الله ، ولا يمنع إلا الله .

« وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم » .

هذا وتحدثنا كتب التاريخ والسيرة أن أبا ذر تولى إمارة المدينة في غزوتين من غزوات النبوة <sup>(١)</sup> .

الأولى : غزوة ذات الرقاع . والثانية : غزوة بني المصطلق وتضيف هذه الروايات الشك مع هذه التولية . فقد ورد في ذات الرقاع أن الوالي عثمان بن عفان ، وورد في بني المصطلق أن الوالي نائلة بن عبدالله الليثي .

وعلى فرض ولاية أبي ذر . كان لا بد من هذه التجربة . حتى يكون الاطمئنان القلبي إلى رأي القيادة .

إنه لم يخلق قائداً لمعركة ، أو رئيساً لدولة ، وإنما أعدته المقادير جندياً في المعركة ، وداعية الى الله في المجتمع . فكان الانضباط والطاعة هو الذي يشفع له في الدور الممتاز في الجندية

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام .

وكان العلم وكانت المعرفة هي التي تشفع له أن يكون داعية  
الى الله على بصيرة .

بحيث لا يطفى جانب من هذين الجانبين على الآخر .  
ولنلق قليلا من الأضواء على هذين الجانبين .

\* \* \*

أما الجندية الصادقة فيكفي أن نعلم أنه منذ نزوله المدينة  
لم يتخلف عن موقعة خاضها الرسول ﷺ إلا بأمر منه يوم  
أوكل إليه إمرة المدينة في هاتين الغزوتين . وتخلفه المعروف  
في تبوك .

وحديثه في تبوك معروف طريف . يمثل تلك النفسية  
الجبارة التي تتراءى في كل حين .

هذه تبوك التي تحمل في ثناياها آخر عزمات النبوة في حياة  
النبي عليه الصلاة والسلام . تضم ثلاثين ألف مقاتل تحت لواء  
محمد بن عبدالله يريدون أن يصفعوا وجه الروم وعملائهم من  
العرب . حيث الدولة الكبرى على مشارف الشام . وبهذا  
العدد الضئيل فقط .

« وكانت الغزوة في زمان عسرة من الناس ، وشدة من  
الحر ، وجذب من البلاد . وحين طابت الثمار فالناس يحبون

المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص في الحال من الزمان الذي هم عليه . وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كن عنها .

إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد المشقة وشدة الزمان ، وكثرة العدو والذي يصمد إليه ليتأهب الناس لذلك أهبطه « (١) .

وأين كان أبو ذر من ذلك ؟

لقد تناهت أصوات في خفوت . بعدمقاطع الجيش الإسلامي أشواطاً كبيرة من مسيرته في لُهب الصحراء وحر الهاجرة .

تناهت أصوات في خفوت : لقد تخلف أبو ذر .

ويستمع الرسول القائد ﷺ لهذا الصوت . وقد أخذ به هم الجهاد كل مأخذ . فيقول في هدوء :

« إن يكن به خير فسيلحق بنا »

كما كان يقول عن كل متخلف آثر الدنيا ونعيمها على آلام الجهاد وأشواكه .

واكفهرت الوجوه — لا شماتة بأبي ذر فهي تعرف من هو

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام .

أبو ذر - رعباً وقلقاً وخوفاً من أن يفقدوا رفيق الدرب في الجهاد ؛ الذي ما تعلقته همته إلا بالله .

فكيف لو شفت روحه الى بلغة من الدنيا وجرعة من الحياة الهنية !!

إنه إذن يفقد الخير كله ما لم يلحق بركب المجاهدين .  
وتسمرت عيون الصحب في الأفق ، وأتى الغبار بشيراً  
بحر وراءه شبحاً لا يدري من الأحياء أم من الأموات هو !!  
قال عليه الصلاة والسلام : كن أبا ذر .

وكان فعلاً فتى غفار يخب الصحراء وحده . وقد أكلت  
الرمال رجليه ، وشوى الحر قدميه ، لأن راحلته عجزت عن  
المسير فتركها وقذف رحله في عنقه ومضى بهمة المؤمنين وحيداً  
على الطريق .

لقد عجزت سفينة الصحراء - جمل أبي ذر - عن المسير  
وتحطم تحت وهج الشمس ولهب القيظ . أما أسد الصحراء فما  
راع ولا وهن . مضى يغذ السير متحدياً تغرير الراحة وتعليل  
الأعذار حتى انضم الى ركب المجاهدين <sup>(١)</sup> .

قال رسول الله ﷺ عندئذ :

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام .

« یرحم الله أبا ذر یمشي وحده ، ويموت وحده ، ويشهده  
نفر من المسلمين » .

مادة جديدة تضع أبا ذر في الخط المقرر له . فسوف  
لا يهاب الوجود كله حين يقتنع أن الحق معه . والذي يتخطى  
الصحراء وحده . لن ينكفيء أن يتخطى صحراء الحق وحده  
ويجتاز فيافيها لنفسه . ولو تألبت عليه وأهلكته . فلا  
يضيره أن :

یمشي وحده ، ويموت وحده .

ولست هذه أول عزمات أبي ذر .

فالذي تحرك وحده من غفار الى أم القرى باحثاً عن  
الهدى . والذي تحرك من غفار الى يثرب داعية الى الهدى .  
خليق بأن يتحرك وحده من يثرب الى الشام أو الى كل صقع  
آخر . فتلك هويته ، ولو فعل غير ذلك لكان هو الداعي  
الى المعجب .

إنه جندي فكرته . جندي قيادته ، سمته ولحمته الانضباط  
والطاعة فيما يعتقد انه حق لا شك فيه .

\* \* \*

أما الجانب الثاني البارز من حياته فهو المسلم الداعية .

ولنصغ مع أبي ذر إلى تلك الوصية الخالدة التي نقلها لنا رضي الله عنه تطلعنا على التدريب الفكري على الدعوة .

يقو أبو ذر رضي الله عنه : أوصاني خليل بسبع :

« أمرني بحب المساكين والدنو منهم ، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقني ، وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً ، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأمرني أن أقول الحق ولو كان مرأاً ، وأمرني أن لا أخاف في الله لومه لائم . وأمرني أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنهم من كنز تحت عرش » .

فكان القدرة كانت تعده لحمل أعباء الدعوة ومهامها . فأتت وصية منارة له يهتدي بها كلما تكاثفت حجب الحزن والأهواء .

فالداعية يجب أن يكون من طينة شعبه الكادح المجاهد كدود . وعلى أبي ذر أن يعيش هذه التجربة العملية .

٢ - أمرني بحب المساكين والدنو منهم :

ولن يتم له ذلك ما لم يجعل المستوى الحياتي بالنسبة له جزءاً من مستواهم ، وطريق ذلك أن يجعل المستوى الفكري يتجاوب دائماً مع أجوائهم وبيئتهم وعالمهم .



٢ - وأمرني أن أنظر الى من هو دوني ولا أنظر الى من هو فوقى :

فهل يستطيع الداعية المصلح بأن يحمل لواء الإصلاح ونذير الهدى مالم يرمق بأم عينه وضع البائسين والمحرومين . فيرى من هم دونه على حقيقتهم يحيا حياتهم ، ويخالط ضعافهم ، يدنو ويتقرب منهم ، ويتحسس آلامهم ، وينصر في بوتقتهم .

أما أن يصل عن طريقهم للمنصب الرفيع والجاه العريض . أو ينطلق من بيئتهم ليحيا في مصاف الأغنياء والمثرين التي يلحقها لدى الأعلى منه فهذا طريق الكسب لا طريق الدعاة .

والداعية ثالثاً وفي الإسلام خاصة يحتاج إلى القلب الحي العامر بالحنان والمحبة . وأن تكون معاملته لغيره أصلية في الحكمة والموعظة الحسنة .

٣ - وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت :

والداعية رابعاً لا يلتوي أو ينحرف إرضاءً للناس . بل عليه أن يوطن نفسه للانطلاق دوماً وأبداً من الحق حيث لا يماري ولا يجاري فيه .

– وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرأاً :

والداعية خامساً يحتاج إلى الجرأة التي لا تحد ،  
والشجاعة الأدبية التي تدفعه في تبيان الحق على نفسه  
أو على غيره ، لا يرهب ولا يرغب .

وتلك من أهم خصائص أبي ذر التي نوهنا عنها  
آنفاً . يملك الصبر على الأذى والابتسام على القذى  
ليصل إلى غايته . يشق طريقه في لجج المصاعب وخضم  
النازلات . يرتفع بنفسه عن أن يتزلف للعبيد في  
غضب الله .

٥ – وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم :

والداعية سادساً في الإسلام خاصة لا يفهم أبداً أن  
يصل المرء إلى رزقه عن طريق الاستجداء أو استهواء  
المطامع والخطام وسفاسف الدنيا . بل عزة النفس  
وكرامتها وإبائها هي الحصن المنيع له من أن يشتري  
بالمال ، أو يُغوى بالجاه والمنصب . فينحرف بذلك  
عن غايته ، ويخرج عن خط دعوته . بل يجب أن  
يكون متعلق الهمة بالله وحده .

٦ – وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً :

والداعية سابعاً وأخيراً يجب أن لا يعيش على الأوهام ،

أو ينام على الأحلام . عليه أن ينحوض غمار الواقع .  
ويعرف سلفاً أن طريقه طريق محنة وشوك وابتلاء . فيلجأ  
إلى جبار السموات والأرض يستمد منه العون والمدد  
فعنده الكنز الذي لا ينفد من الحول والقوة .

٧ - وأمرني أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فانهم من  
كنز تحت العرش :

ولنتساءل الآن :

هل أدى أبو ذر وصية قائده كما أمره . فحق له أن  
يكون داعية إلى الله إذا استوفى عناصر دعوته ؟

بكل تأكيد . نعم .

وهذه نماذج من نجاحه بامتحانه .

عن عتبة بن مسعود قال : كسيّ أبو ذر بردين ، فاتزر بأحدهما  
وارتدى بشملة . وكسا أحدهما غلامه ثم خرج على القوم  
فقالوا له :

لو كنت لبستها جميعاً كان أجمل .

قال : أجل .

ولكنني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

إخوانكم خولكم . أطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تكسون

فلا داعي إذن للمماراة بأن أبا ذر أوفى على الغاية حين كان ابناً  
لهذه الأمة وواحداً منها يسوي بين نفسه وبين غلامه في مأكله  
ومعاشه .

إنه يعطى الصورة الصادقة للمسلم الذي يكون المثال  
التطبيقي للحديث .

كيف لا وهو أصدق من عرف الوجود لهجة دون منازع .

فما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر  
إنه يقدم لنا صورة المجتمع الذي يتساوى فيه الأحرار والعبيد .  
صورة المجتمع الذي لا تمايز فيه كالموظف اليوم ليس الموظف  
العادي . بل الموظف الاختصاصي الذي تهيء له الدولة سبل  
المطعم والمشرب والمأوى .

يعيش كما يعيش رئيسه المباشر في أفراحه وأحزانه ، في  
حاجته وغناه ، في كل شيء لا يستأثر ، دونه بثوب أو يطعم  
عليه بلقمة « إخوانكم خولكم ، أطعموهم مما تأكلون والبسوهم  
مما تكسون » .

ونحن نتحدى كل مجتمعات العالم بلا استثناء أن يعيش فيها  
— لا العبيد ولا الخدم — بل العمال كأرباب العمل . من مطعم  
واحد وملبس واحد ومعاش واحد .

ذلك لأن مقياس المادة هو الذي يسيطر ويحكم في هذه  
المجتمعات . سواءً منها الشيوعية أو الرأسمالية .

وليس المهم هو المأكل والمشرب فقط . إن هذه قشرة  
ظاهرية بالنسبة للعقيدة الإسلامية . فالتساوي الذي يقصده  
الإسلام ويدعوه له ويبنيه قبل أن يبني تساوي المطعم والملبس  
بين العبيد والسادة - هو تساوي الكرامة الإنسانية ، والحرية  
والشخصية الإنسانية حيث لا ميزة ولا قيمة ولا كرامة إلا  
للأصلح والأتقى والأكثر نتاجاً وعطاءً وكفاءة .

وهذا ما يبدو لنا في هذه الصورة الثانية التي برزت في  
التطبيق العملي عند أمير الدعاة أبي ذر رضوان الله عليه .

تنطلق ساعة نفس فتى غفار وكريمها من عقالها . فيغضب  
من بلال قين مكة وعبدها من قبل . فتجری على لسانه كلمة  
ولدت في المدينة ضجة وأياما ضجة .

قال لبلال : يا ابن السوداء . وتبلغ مسامع القائد الأعظم  
صلى الله عليه وسلم . وهو الذي يقوم على تدريب جنديه أبي  
ذر ، واعداده ليكون الداعية العظيم . فيعقد له جلسة طارئة  
لمحاكمته . هي من أروع ما حفظ التاريخ من المحاكمات .

محمد : يا أبا ذر بلغني أنك عيرت أخاك بأمه .

أبو ذر : نعم يا رسول الله لقد فعلت .

محمد : يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية . ألم تعلم أنك

لست أفضل من أحمر ولا أسود في هذه الدنيا إلا أن تفضله بعمل.

إعلم ذلك أبا ذر ولا تنسه .

ترى ماذا يفعل أبا ذر .

وانفضت المحكمة دون حكم بحد أو تعزيز إلا هذا التوجيه

ترى ماذا يفعل أبو ذر ؟ وهو يسمع هذا العتاب المشوب  
باللوم من قائده عليه الصلاة والسلام . وماذا يغلبه أجاهليته  
أم إسلامه ؟

هل تستبد به هذه الجاهلية ، فيرد على قائده مقالته . ؟

أم هل يختفي تحت جناح الليل فاراً من طعنه في عصبية .  
كما فعل من بعد جبلة بن الأيهم الغساني ؟

لا . ولئن كان به إثرة من الجاهلية . فهذا لا يعني أنه أقل  
إسلاماً من غيره . بل إنه يريد محو هذه الجاهلية وسحقها من  
نفسه . وكيف ؟

إنه ينبطح على الأرض حين يمس ضميره السوء . ويقول  
لأخيه بلال العبد الحبشي الأسود قين مكة وعبدها .

ضع قدمك على خدي وسامحني .

ويهجم بلال لا ليضع قدمه على خد أخيه مستغلاً فرصة سانحة  
يروى بها جاهليته . وينفس من حقه الطبعي الذي عاناه ما

ينوف عن ثلاثين عاماً في روابي مكة .

لكنه يهجم ليعانق أبا ذر ويحمله بين ذراعيه . ويعفو عنه  
بعد تقبيله .

وكان درساً عملياً حياً شهدته المدنية في مدرسة محمد صلى  
الله عليه وسلم كيف بدل الإسلام جاهلية العرب بإسلام  
المؤمنين .

أبو ذر هذا الذي كان يغير في الصباح على القوافل فينهبها .

أبو ذر الذي ما عثم أن ترك خاله وفضل المعيشة في العراء  
لا مأوى ولا زاد على أن تمس كرامته بكلمة .

أبو ذر صاحب حدة الطبع وجلف الصحراء وخشونة البادية  
ويرضى أن يضع خده على الأرض لترتفع على خده الثانية قدماً  
سوداء مشققة لعبد حبشى أسود اسمه بلال .

هكذا تحارب الفوارق الطبقيّة في الإسلام لأولئك المهووسين  
المجذوعين بفكرة حرب الطبقات . وهكذا يتعامل السادة  
والعبيد في ظل الإسلام لا بالسحق والسحل وري الأحقاد .  
والتلظ في الإذلال والولوغ في الدماء .

هذه تربية محمد ومدرسته في صهره للفوارق المادية والطبقية  
وفوارق الدم والمال والجاه .

وهكذا يشق الإسلام طريقه ويبني شعبه ويربي بنيه . ولا  
ندري إن كان عند المؤمنين بحرب الطبقات . أفضل وأنجع من  
هذه الحلول !!!

أبا ذر

قد كنت والله حفيظاً بحمل لواء الدعوة إلى الله . بعد هذه  
التدريبات العنيفة التي خضتها حتى لتطأطىء رأسك للعبد  
الحبشي بلال ليطأه ؛ بعد أن غيرته بأمة السوداء .

هذا الرأس الذي يفضل أن يهشم ويسحق ويحرق . ولا  
يطأطىء إلا لجبار السموات والأرض لو أرادوه على غير ذلك .

وتلك شهادة أخيك ابن أبي طالب فيك .

لم يبق بعد اليوم أحد لا يبالي في الله لومة لائم غير أبي ذر .  
ولا نفسي .

ثم ضرب بيده على صدره .

فبورك فيكما من شاهد ومشهود .



## فتى غفار

كان ممن تناول أبا ذر مفتوناً معجباً به الشاعر الأستاذ سليمان العبسي ولا بد لي أن أقف للحق والتاريخ مع هذا الديوان قليلاً . فأما من جهة شاعريته وعميق إحساسه فلقد أعجبني أيما إعجاب . وأخذ بلي وأسرني . لقد مكن من قلبي حب أبي ذر وعمقه . وحدد في ذهني كثيراً من معالم شخصيته . حتى لكم تمنيت لو أنني أقف مع هذه اللوحة الخالدة . أدرس فيها كل سطر وكل بيت وكل عبارة لذاتي . لمشاعري لإحساسي . ولا أراني بعيداً وأنا أقدم هذه الدراسة ، أنني سوف أغوص في كثير من جوانبه ، وأغور في العديد من روائعه حتى لو خرجت قليلاً عما هو مقدر لهذا البحث .

أما من جهة حقائقه ووثائقه وهدفه . فأجدني مضطراً لأنقل الأمانة التاريخية كذلك .

يمكن أن نقسم الكتاب إلى قسمين رئيسين .

أولها حياة أبي ذر حتى خلافة عثمان رضي الله عنه .

وثانيهما حياة أبي ذر رضي الله عنه منذ خلافة عثمان حتى وفاته .

أما القسم الأول فلا مجال فيه لاختلاف الرأي . بين جميع المؤرخين فلذلك بدا ناصعاً بعيداً عن التعرض لأحد أو النيل من أحد .

بينما استغرق القسم الثاني الحديث عن عثمان وأبي ذر . وكان ابن عفان رضي الله عنه هو موضع سهام الشاعر العيسى . ومجال نقده ولومه والتهجم عليه . دون أن يدع مجالاً أو يحسب حساباً لاختلاف الرأي وتعدد الآراء . لقد بدا مؤمناً بما اتخذ من موقفٍ إلى درجة اليقين . وعصف به هواه إلى درجة تصنيف عثمان كأبي حاكم مستغلٍ اقطاعي يستغل سلطان المال والثروة لتنفيذ مآربه وتحقيق شهواته وعشيرته .

وسنعرض لهذين القسمين في التفصيل .

غير أنه لا بد من إبداء هاتين الملاحظتين . قبل الخوض في ذينك الجانبين .

أولاً : نحن لن نحاكم الشاعر والشعر كما نحاكم النصوص التاريخية لأن الخيال هو العمود الفقري للشعر . بينما الواقع هو العمود الفقري للتاريخ غير أنه يجب أن لا يطغى جانب على

آخر . ولا نضيع التاريخ كله إرواء للجانب الشعري في الموضوع . وإمداداً للخيال الخصب فيه .

ثانياً : إن الواقع الأساسي الذي حدا بالشاعر العيسى

ليكتب عن أبي ذر . هو الاشتراكية . فلذلك وجدناه قد قدم إهداء الكتاب بقوله :

إلى روح أبي ذر إكباراً لنهاية بدأناها

وحسب الصورة الموجودة في ذهنه عن حقيقة الوضع القائم بين عثمان وأبي ذر لم يكن غريباً أن يفرغ عصارة قلبه كلها في إجلاء هذه الحقيقة وإيضاحها في إنها حلقة من سلسلة المعارك بين التحرر والاشتراكية من جهة وبين التعسف والظلم والاستغلال من جهة أخرى التي خاضها الشعب العربي من خلال تاريخه .

بعد هاتين الملاحظتين نعود ثانية لنقف مع قسمي الكتاب .

وسأقدم القسم الأول من الكتاب مع عرض نماذج عامة منه بحيث يقدم صورة الأبحاث السابقة من حياة أبي ذر حتى فراقه عن الرسول القائد صلوات الله وسلامه عليه . ولا آلو جهداً في أن أشرك بين ثنايا هذه الروائع مشاعري وأحاسيسي .

بينما أدع القسم الثاني مع الحديث عن صحة الوقائع التاريخية

والتثبت منها بما تقتضيه الأمانة العلمية إن شاء الله . بعيداً عن  
الهوى والرأي الشخصي البحت .

## ١

نكاد نمس طرف ثوبه وهو يمر بنا على عجل فتساءل .

من البدوي جلله غبار الدرب والتعب  
تكاد على محياه ، خيوط الشمس تلتهب  
وفي عينيه قافلة من الأسرار تضطرب  
من البدوي ؟ مثل الوهم ينسحب

إلى أن يصل إلى مكة على حذر وإشفاق يود كشف حجب  
الغيب ليتعرف على الدعوة الجديدة .

تلقته صباح اليوم مكة زائراً حذرا  
وينقل تحت لفح الغيظ خطأ حائراً ضجراً  
ويعمن في وجوه القوم حيث تلفت النظرا ، ..  
ويلفحة الهجير فلا يحس لجره أثرا - .

يدخل بنا إلى شغاف قلبه وهو ينقل لنا حيرته وصبره  
الطويلين قبل مورد النبع :

ومكة تكظم أنفاسها في كل وجه شرر أوبريق

لقى أبا ذر عصا مجهد ، . وراح في حلم عميق عميق  
النبع في غلته خطوة ليلفن النبع عهد وثيق  
ليشهدن النور في مهده لينهلن الوحي عز الرحيق  
ولو تشظت قدماه على ، مقارع الشوك ولذع الحريق

و كأنه بنا يدخلنا بين المتناجين علي وأبي ذر ليسمع ما يخفق  
به قلباهما من وجيب .

أتكم السر سؤال سرى في الجسد المعروق مسرى الحذر  
وابتلعت مكة في صدرها ظلين يا للموعد المنتظر ، .  
تريد أن تلقاه ؟ قال الفقى شمس الضحى قبضته والقمر  
نحن إحتضنا الفجر مذ كبرت دفقته الأولى نبا وانهمر  
فما خطونا منذ إيماننا ، إلا على الشوك ولسع الأبر  
ما جدد الأرض سوى فكرة فالرمل واح والفيافي شجر

وتلك ومضات من تلك المقابلة الأولى بين فتى غفار وسيد  
الخلق صلوات الله وسلامه عليه .

يا للضياء السمع في بسمه يا للجلال الفذ تهفو له ، .  
وتهدأ فيها الأرض لو تستثار تود لو لامست فضل الإزار  
والناس والدهر وينأى القرار من الفتى ؟ أرسلها عذبة  
وضاءة فيها وضوح النهار من شرف الصحراء يا سيدي  
من أصاخوا للندا من غفار

ويمضي القلم لا هثماً وراء أبي ذر ينقل لنا خطوة . ويقف  
مذهولاً صريعاً أمام تكبيرته التي دون في أنحاء مكة فانجفل لها  
الطغيان وارتاع .

تلقى الرسالة من نبعها ورتل فرقانها المحكما ، .  
وأصغى إلى نفحات النبي تذيع على الأرض سر السما  
ألا إن إسلامه ثورة على النظام تحطم أو تحطما  
وتكبيره تسع العالمين وتعمر في النفس ما هدمما  
ودوى الهتاف يريد الحياة إخاء وعدلاً وحباً سما  
وغاص النداء على طعنة تخضب فيها المنادي دما  
فتى البید بین حرب الطغاة يرد بشهقته عن ذما  
ألا إن درب النضال القويم ليهمس هل تعرف العلقما  
ألا إن كوب الحياة الشهي ليبدأ من دما مفعما

## ٢

وإذا بشريط الأنباء من معارك الدعوة يمسح العيسى مساً  
رفيقاً على لسان عمرو بن عوف الذي راح ينقل لأبي ذر لمحاتها  
السريعات .

نهد المؤمنون يوم بدرٍ ليشقوا درباً أمام العصور

ليقولوا للأرض طال بك المكث حراناً على الجمود فسيري ، .  
لم تحطم فيه حراب قريش ، . بل حطمتنا الغرور كل الغرور

لم نهدم أصنامها بل هدمنا ما يعوق التاريخ عند المسير  
أحد نعمة تموج فترتد ، ولكن على حطام - . الصقور .  
وفلول الأحزاب تنفض عنها جنية الحلم بعد يوم عسير .

وأحس أبو ذرٍ بلسع النار وشوق النور أمام هذه الأحداث  
فاندفع قلم سليمان مع حركة أبي ذر وعنفها ينقل نفثه اللاهث  
وقلبه الملهب .

وهو رأس أبي ذر على كفه دوامة تلهب ،  
أفأطوي في غفاري ليلتي لا تمتني للحفاظ العرب  
أأنا المؤمن إن لم يك لي بين رايات رفاقي مضرب  
ما عساني انفع الحق إذا تخلفت وسار الموكب

( نعم يا سليمان الموكب يسير وأنت تتخلف حين تقول ... - )

جئت قومي طمعاً في هديهم	أضعف الإيمان هدي يخطب
والميامين صحابي مزق ، - .	بين أطراف القنا تضطرب
أفأطوي في غفاري ليلتي	لا تمتني للحفاظ العرب ،
إنني ماضٍ وغشاه الدجى	فتلقته صباحاً يثرب

( متى كان يا سليمان أضعف الإيمان هدي يخطب ؟ !! )  
أوليس ذاك جهاد في سبيل الله أشد عتواً من مزق أطراف  
القنا ؟؟

أولم يقل رسول الله لخاطبي الهدي في الحبشة وقد فاتهم طعن

القنا وضرب السيوف . على أولئك المهاجرين في سبيل الله .  
« لهم هجرة ، ولكم هجرتان . »

إنني ألهك يا سليمان في حرارة عاطفتك بعد أن سبقك أبو  
ذر لتقول في تهيج

حسبه من كل ما ضم الثرى خيمة تؤوي وقلب يهب  
وكنوز من حديث المصطفى غدق سلسالها ما ينضب  
فإذا ما هتف الحق مشى أفتدري كيف يمشي اللهب

« وكأني بك وقد تسمرت واقفاً في مكانك ، وغشيت  
عيناك وأنت تتابعه حتى اختلط عليك الأمر فلم تعد ترى أبا  
ذر المسلم بل ترى أبا ذر العربي الحالم في وحدة وطنه فقط . »

حسبه حلم إذا عاوده هزه حتى الضياع الطرب  
هذه الصحراء ما أسعده أن يراها وحدة لا تغلب  
وإذا المشرق من الألهة دفقة يكرع منها المغرب  
هذه الصحراء ما أكرمها . برسالات الهدى إذ تنصب  
هي والرمضاء تشوي رملها تتحدى كل نبع يعذب

فأي قوقعة هذه التي تريد أن تحشر بها أبا ذر الغفاري .  
جل أمانيه وحدة لا تغلب . وكأن الإسلام كله قصة وحدة  
العرب . وإذا بالصحراء وهي التي تنصب وتنجب فقط حتى .  
أنها لتنجب كذلك ابن عبد الله فيما تنجب .



تنجب الروضة غصناً أخضرا وابن عبد الله مما تنجب ، — .  
حلم يسكره ما عاوده ، . أن يراها وحدة لا تغلب

فهل كان سليمان ابن عبد الله من إنجاب الصحراء فقط . ألم  
تستهويك الفكرة التي تجعل الإسلام من نتاج العبقريّة العربيّة  
وأنه دفقات من دفقات هذه الأمة التي اندفعت بها في  
مدار التاريخ .

ألم تكن صياغة السماء هي التي انجبت ابن عبد الله ؟؟

ترى لولا رسالة السماء هل كان في خاطر ابن عبد الله أن  
يحرر البشرية من الوثنيّة ؟

أو لم يكن يكفيه وحدة في غار ، وانفراد في قلة جبل ،  
وخلوة مع زوجة وولد ؟؟ » .

أنا لا أقول أنك قد تسمرت واقفاً في مكانك . بل أدبرت  
راجعاً وأشحت عن ذاك الطريق الذي تحرك فيه المارد العربي  
من جاهليته إلى إسلامه . «

حسبه حلم إذا عاوده هزه حتى الضياع الطرب  
هذه الصحراء ما أسعده ، . أن يراها وحدة لا تغلب  
تنجب الروضة غصناً أخضرا وابن عبد الله مما تنجب  
حلم يسكره ما عاد ، . أن يراها وحدة لا تغلب

## إلى تبوك

سرعان ما تسبر غور هرقل ملك الروم ، وتدرك المدى  
الأبعد الذي ينتقل فيه .

سهرت عيني هرقل فمضى      يحكم البطشة جباراً عتيا  
أيلم البدو فيها شعشهم      خطراً يكتسح الأفق دويا

وتحاول أن ترخي على غسان في الشام سترأ من حرير  
ناعم قوامه فكرة التحرر والعروبة .

وانتحي غسان كي تلقاهم ،      مشرفي يتلقى مشرفيا  
ورنت غسان واهتزت دماً      لا يبيع العربي العربيا

« فإذا بالستار يهتك والحجاب يمزق وتبدو غسان على حقيقتها  
وقد جمعت عشرات الألوف بجانب جيش الروم تريد أن تقضي  
على الدين الجديد في مهده . هذا الدين الذي كان إسفيناً في  
نعش تلك الزعامات الفارغة المستذلة للدول الحاكمة .

سيشغلنا الآن عن غسان ذاك الملوح كالسراب من بعيد .  
وأدع لك وصفه . إذ أن لسانك فيه السحر الحلال لي بدون  
شك . »

من على الأفق بعيداً ؟ شبح  
غارق في الآل يطوي اليد طيا  
ورمى الأصحاب أبصارهم ، - .  
هوذا شطرم يهوي هويا  
مجهد الخطوة معصور القوى ، - .  
كاد يشويه هيب الرمل شيا  
من تراه يتخطى وحده ، - .  
رهبة الصحراء والدرب العصيا  
وانجلت عنه الفيافي يا له ، .  
مشهد يبقى بصدد الدهر حيا  
غص بالدمع أبو ذرٍ وقد  
ضمه الحشد إليه سميريا

« وما أنت تأخذ بلي وتفتني آسراً ؛ وأنت تقر بالحقيقة .  
وتروي ظماً أبي ذر برسول الله صلوات الله عليه . »

أدر كوا الظاميء تطفيء ناره يا أبا ذر عرفناك وفيا  
بأبي أنت وأمي نقعت ، - . غلتي حسبي رسول الله ريا  
عاقني عنكم بعير أعجف ، - . عفته خلفي لأحد وقدميا  
لم أزل أحبس في روايتي - . جرعا لو شئت بلت شفتيا  
لم أذقها ربما كان بكم ، ظاميء يؤثره العدل عليا

« آه وألف آه يا سليمان لو أتبع لنا أن ننهل جرعة تطفيء

حرقة قلبنا المنهل العليل . إذن لكنت أنا وإياك غير ما  
نحن عليه .

إنني لن أغفر لك وأنت تحدثني عن قافلة الإيمان تحت لواء  
محمد صلى الله عليه وسلم فتقول :

أنظروا هذي تبوك وبدا سيد الصحراء وضاح الحميا  
يا لموج البشر في قافلة - . نذرت للخلد قرباناً رضا  
ألقنا الذابل يضني والظبا ، . في الزنود السمر برق يتها  
ورفاق الوحي أنضاء السرى . يرقبون النصر في مثل الحميا

« لن أغفر لك يا سليمان أن تخفي عني جانباً عزيزاً مما  
يرقبون .

تحدثني أنهم يرقبون النصر . ولا تحدثني أنهم يرقبون  
الشهادة والجنة !!

أتريدني أن ينزل بي النحيب إن لم يحالفهم النصر ويواكبهم  
الانتصار !!

أما من جنة يدخلون ، ولا فردوس يلجون !! لقد ترقبت  
حديثك الطويل بسحره وثنائاه الحلوة ومطلعه البهي المشرق  
باحثاً عن فكرة اليوم الآخر وأنا أحصي عليك أنفاسك فما  
وقعت لها على أثر . ترى ؟ أيرضي أبا ذر الذي صحبتني إليه

هذا الموقف !! أم هل غاب عن ناظريه ولو لحظة واحدة  
الجنة ورضوان الله . فيم أراك عصي الجواب ؟؟

٤

### هدأ الوحي

والآن يشغلني عنك ويشغلك عني هدوء الوحي . فما أروعك  
حين تقدمنا بالنسبة لأولئك المؤمنين ، كيف ندنس الرمل الذي  
بنوا هم منه تاريخ الوجود . على يد مربى البشرية صلوات الله  
وسلامه عليه ، الذي اختار ، بعد طويل العناء ومر الجهاد  
الرفيق الأعلى في الجنة . «

أيتها الراعش مثلي كلما ، .	مثل الماضي جمالاً وجلالا - .
أيتها الثائر مثلي أن ترى	صانع التاريخ يوماً كيف آلي
قد ورثنا المجد غفران العلى	لم نرث إلا خواء وهزالا
يا رمال الصيد من أجدادنا	لو وطئناك لدنسنا الرمالا
حولي طرفك عنا إنني	أكبر التاريخ يروينا انحلالا

\* \* \*

هدأ الوحي ولكن بعد ما	فجر البید حياة وخلالا ، .
هدأ الوحي ولم تهدأ بنا	وثبة شدت إلى الشمس الرحالا

\* \* \*

والآن يا سليمان قد وصلنا إلى مفترق الطريق .

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسأبقى إن شاء الله  
الله على جادته . ولن تجدني إلا ناقداً عنيفاً كلما غمست قلمك  
في نحر أحد صحبه الغلاة عليه . أو غبرت بعيداً عن الطريق  
الموصلة إليه وتأكد أنك ستجدني يجنبك أذود عنك حين تجلي  
للأرض أحد تلاميذه وتثني عليه .

كم أنا سعيد بك وأنت تقدم للناس الفاروق عمر . ذلك  
الحلم الذي نتمنى لو طال .

وتلوث يديه درة في ظهور الصيد كم شفت مجالا  
وإذا فاتح مصر أنه تحت سوط العدل راحت تتوالى

وما كان من ذنب لعمر بن العاص سوى أن ابنه استغل  
اسمه والياً وضرب القبطي حين سبقه .

وإذا كفاه صفر وإذا هو لا أطرى ولا أرغد حالا.

« ولعلك يا سليمان تشير إلى اقتسام ابن الخطاب مال عمرو  
فما هو بأول مقتسم . فلقد اقتسم مال سيف الله خالد ابن  
الوليد . ومال خال رسول الله سعد بن أبي وقاص . وما كان  
أي من الثلاثة خائناً أو مستغلاً . وهذا الذي أقر عيني  
أبي ذر .

ألفاري قرير طرفه حرمت الله أسمى أن تنالا  
درة الفاروق ما تبرح في كفه تضرب للناس المثالا  
لم يطل حلم الدني في عمرٍ أي حلم رائع لو كان طالا  
إي والله أي حلم رائع لو كان طال .

إني أراك تنسل من خلال هذا الحادث الرائع لتقدم صورة  
مشوهة قائمة عن عمرو :

أسكر ابن العاص يوماً أنه بركاب النصر يمشي حيث مالا  
فانثنى يلقف مما حوله ، . بهرج الدنيا يميناً وشمالا  
قل من حف به زخرفها - . فأشاح الطرف كبراً وتعالى  
ثكلت عمراً بمصر أمه ، - . أفأرخی لهوى النفس العقالا؟  
أيخال الفتح نهباً وغنىً .. أيظن الملك لابن العاص آلى  
ما ندبناه إلى الأرض لكي نجعل الأرض له فيئاً ومالا

وأراني مضطراً بالرغم من خروجي عن الموضوع الرئيسي -  
لأحدثك حديث الغاضب الثائر يا سليمان .

أهكذا نصف ابن العاص فاتح مصر الذي أمضى السنين  
الطوال يحترق ليفتح حصناً للعدو ؟ رأيتَه فقط يوم كان الفتح  
عنده نهباً وغنى !! . أما شهادته يوم يخوض المعركة تلو المعركة  
ويصبح طعمة بين أشداق الموت !!

يعسكر الليالي الكالجات السود في القر والزمهرير ، تتقصف  
رجلاه من شدة البرد ويلقي ألف هولٍ وهول من العدو الضاري  
الذي ساق ضده ألف سفينة لينهي وجوده ووجود فكرته على  
على أرض المغرب العربي عامة وأرض الكنانة خاصة .

هل أصبح ابن العاص عندك متكبراً عاتياً ، ناهباً ثرياً ،  
غارقاً في أهوائه ولذاته !!!

ترى من أين اقتطفت هذه الصورة . وكيف أبحث لنفسك  
أن تنتهك حرمت المؤمنين ؟ لا تحسب أنني أود أن أسيء  
إليك . أريد قبل كل شيء أن أحتكم أنا وإياك للتاريخ .  
لقد أدبت الدرة ابن عمرو بن العاص عند خلافه مع القبطي .  
لكن هل كان عزل عمرو عن خيانة ؟ وهذا ما أبحث لنفسك  
وأرخيت لهواك العقال أن تهتمه فيه . فهل لك أن تجيبني ؟  
هل كان عزل خالد ابن الوليد عن خيانة ؟ هل كان عزل سعد  
بن أبي وقاص عن خيانة ؟ هل كان عزل عمار بن ياسر عن  
خيانة ؟ هل انتهب هؤلاء الثروات ، وبغوا فساداً في الأرض  
وأمعنوا في لذاتهم وأهوائهم ؟ كيف تبيع لخيلتك أن تقذف  
السباب على عمرو الصحابي ، وتقدمه كأسوأ استغلالي واحتكاري  
عرفه التاريخ .

وما عرفت مصر حاكماً ساسها بالعدل كابن العاص .



حتى أسلم الأقباط كلهم بحسن سياسته وعميق تخطيطه .  
وشديد إخلاصه .

لن أجيبك أنا بل أدع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يجيبك .

« دعوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ  
من أحدهم ولا نصيفها » .  
سليمان

ستنتثار عندما تجد من ينتقدك وتغضب . وهو ينقل بأمانة  
رأي التاريخ الموثوق في عمرو . فكيف تريد من جند الله أن  
يصبر وعلى مريض وأنت تنال من صاحب رسول الله ؟  
وكيف تغمس قلمك النابض الحي العنيف وتجعل مداره لحم  
مؤمن مات وقد أسدى للكون معروفاً لا ينساه ما دام فيه  
الحياة والوجود .

وأنا لا أناقشك في عمرو رضوان الله عليه في كل مراحل  
حياته . وإنما أناقشك وبالضبط عن المرحلة التي تغنيها يوم كان  
والياً لابن الخطاب على مصر .

أما بعد وبعد عثمان ومع علي فسألوز في الصمت إلى أن  
أستطيع أن أكتشف جليلة الأمر من قلب حجب الضباب  
المتكاثف ، واخلاط التاريخ المتناثرة هنا وهناك .

وسأودعك الآن لأعود إليك بعد مع القسم الثاني من  
أناشيدك . يوم تنتقل للحديث عن أمير المؤمنين عثمان والناس  
الكبير فتي غفار أبي ذر . والله أسأل أن يجنبني وأياك  
شطط القلم وزلة الفكر وخطل الرأي إنه سميع مجيب .

## تخطوط بارزة من منهج الإسلام في الاقتصاد

لن أقرب من الحديث عن سياسة المال والاقتصاد في الإسلام فذلك أهله وأولوا الاختصاص فيه .

إنما أود أن أمس الموضوع من جانب معين وبالقدر الذي تسعفني الحاجة إليه في هذا المجال .

١ - الإسلام ينطلق في تحقيق منهجه الاقتصادي من دين سماوي يكون الاقتصاد فيه فرعاً من فروعهِ المتشعبة وجانباً من جوانبه المتعددة . وهذا الدين يحكم على هذا الجانب وينظمه كما ينظم جوانب الحياة جميعها بحيث تحقق مفهوم الخلافة في الأرض . فلا مجال هنا لانحراف فكر أو شطط رأي أو نزوة نفس ، ولن تستبد فكرة جانحة أو اتجاه خطل .

لن يوكل تقدير هذه الأمور مثلاً إلى العمال والفلاحين . لأنهم

حسب الطينة البشرية التي جبلوا عليها حين يخلو لهم الجو لا شيء يمنعهم من ظلم من ظلمهم وامتهان حقه وكرامته حيث تغدو الحياة الكريمة لهم وحدهم فقط .

أما أولئك الأثرياء سواء المحسن فيهم أو المسيء ، فسينغدون طبقة منبوذة محرومة من كل حق مهددة في كل لحظة بالفناء إن بقيت على قيد الحياة وطالبت بما تعتقد أنه حق لها .

ولن يدع الأمر كذلك للرأسماليين - حسب مصطلح العصر - يسنون باسم الحرية الفردية والحق الطبيعي ما يشاؤون . ويصبح القانون لحماية ظلمهم وجشعهم واحتكاراتهم ، ولاستبعاد وإذلال المحرومين ، وتعميق الهوة بينهم وبين الحياة الحرة الكريمة . فتقلب القضية من طبقة إلى أخرى أشد ظلماً وعتواً . ولا عجب في ذلك فالقرآن الكريم يقول :

« إن الإنسان خلق هلوعاً ، إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً » .

وليس الحل لهذه المعضلة انتزاع الملك والمال من طبقة إلى طبقة فهذا لن يغير من أمر لظلم والاستغلال شيئاً .

إنما الحل هو التزام هذا الانسان بمنهج الله في الأرض جملة  
وتفصيلاً وتربية النفوس وتهيتها لقبول هذا المنهج  
وتنفيذه .

« إن الانسان خلق هلوعاً ، إذا مسه الشر  
جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً .. إلا المصلين . الذين  
هم على صلاتهم دائمون ، والذين في أموالهم حق معلوم ،  
للسائل والمحروم . والذين يصدقون بيوم الدين . والذين  
هم من عذاب ربهم مشفقون ، إن عذاب ربهم غير مأمون .  
والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما  
ملكك إيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك  
فأولئك هم العادون . والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون .  
والذين هم بشهاداتهم قائمون . والذين هم على صلاتهم  
يحافظون . أولئك في جنات مكرمون . » (١)

ولن تتأتى هذه الصفات الجوهرية في الشخصية الإنسانية  
إلا عند انطلاقها من عقيدة ثابتة صحيحة في التصور البشري  
ينبثق منها استعداد تام لتنفيذ شرعة الله لخلقه على هذه  
الأرض .

---

(١) سورة المعارج.

٢ - والاسلام يسمى في تطبيق منهجه من القاعدة إلى القمة بعد أن تؤدي هذه التربية أكلها . ففي تطبيق مبادئه يجعل من كل مسلم أخاً للآخر كما فعل بين المهاجرين والأنصار فالمهاجرون آنذاك هم الفئة المحرومة التي فقدت بفعل ظروفها القاسية وفي سبيل الله كل ثروتها وأموالها . وكانت الأنصار هي الفئة المالكة لمصادر الثروة في المجتمع المدني . فكان لا بد من حل جذري لهذه المشكلة التي واجهت المجتمع المسلم منذ الساعات الأولى لقيامه . وكان بالإمكان كما تفعل مناهج العبيد إصدار قرارات وأوامر تقضي بالتأميم والتوزيع للأراضي ، وفرض القوة على المخالفين . وعندئذ تنقلب أخوة العقيدة إلى استغلال فاستئثار فاستعمار وتتحطم العقيدة على صخرة المصلحة ، وتنتهي قصة الإسلام إلى الأبد .

أما منهج الله آنذاك فكان يدعو إلى التآخي في الله .

« تآخوا في الله أخوين أخوين »

وأشرف النبي صلى الله عليه وسلم على هذه المؤاخاة العملية حيث وزعت كل مهاجر على أخٍ أنصاري . فدفعت هذه المؤاخاة الأنصاري المالك إلى أبعد من التفكير بالمساواة ؛ إلى الإيثار الذي لا تعرفه شرعة الأرض ولا طبيعتها . بدأ كل أنصاري يقوم بتوزيع حصه أخيه

بنفسه مناصفة أو بالأحرى يقدم الحصة الأجود والأفضل  
لأخيه المهاجر دون سلطة ولا رقابة خارجية حتى غدا  
المجتمع وحدة متكاملة ولحمة متصلة .

بحيث يلغى التفاوت ويتحقق التعاون ومن ثم  
التكامل والانصهار في أوسع مظانه وأعمق أبعاده .

هذا وغني عن البيان أن نذكر موقف المهاجرين الذين  
رفضوا بكل إصرار مقاسمة إخوانهم أرضهم وديارهم . بل  
سلكوا طريقاً آخر للوصول إلى رزقهم وهو التجارة .  
استطاعوا بذلك أن يساهموا في بناء المجتمع الجديد .  
بحيث يزدون في غلاته عن طريق التجارة . ولا  
ينقصونها أو يمتصونها عن طريق المقاسمة .

٣ - وبناءً على ما ذكر نرى الإسلام يعتمد في منهجه  
الاقتصادي - على الدافع الداخلي سداً وركناً قبل أن  
يلجأ إلى الضغط الخارجي . أي أن الرجل المالك المسلم  
يطبق العدالة التي آمن بها عن طريق الدين الذي اعتنقه  
ووهبه حياته دون أن تصدر له الأوامر بذلك . إنه  
يتنازل عن حق أخيه بطيب نفسٍ ورضاً وحساسية  
مرهقة . سواءً كان جزءاً من ماله أو ماله كله وإن  
اقتضى الأمر . فتكون مراقبة التطبيق من الضمير الداخلي  
والدافع النفسى قبل أي شيء آخر .

حتى بلغ الأمر بعثمان ابن عفان رضوان الله عليه  
عندما كان أميراً للمؤمنين ، أن يكل دفع الزكاة للمرء المسلم  
دون جباية وذلك حين استقرت حقيقة الإسلام في النفوس ،  
وأرز الأعراب والمرقدون إلى حظيرة الإسلام عن قناعة وإيمان  
وهدى .

قبل عثمان هذا الرأي وتبناه ونفذه حين كان المسؤول  
الأعلى في الدولة آنذاك .

ولعمر الحق إن دولة تقوم على الدوافع الداخلية في  
أبناء شعبها والتفاعل الذاتي بين أفرادها لتحقيق العدالة من  
أجلهم هي أعظم ما ينجبه التاريخ من حكومات .

وعثمان خاصة نموذج رائع لم يشهد التاريخ له مثيلاً في  
إيمانه بواجبه وتخليه عن ماله في سبيل الله وشتان بين عبد  
للدنم والدينار وبين عبد لله وحده ذاك يجمع المال غاية له  
فإن فاته شيء منه غضب وأرغى وأزبد . وهذا يعتبر ماله كله  
وسيلة لرضى الله وابتغاء ثوابه .

لقد كانت جيوش النبي صلى الله عليه وسلم تجهز بكلمات  
ولو تجاوزت الثلاثين ألف مقاتل كما فعل ذو النورين رضي  
الله عنه حين جهز جيش العسرة بأكثر من ألف جمل بأحلاسها  
وأقتابها في سبيل الله .



٤ - وآخر ما يلجئ إليه الإسلام مضطراً مستكراً بعد هذه المحاولات جميعها هو باب التطبيق من قبل الدولة والتنفيذ لشرعة الله إذ تطبق الأحكام بالدافع الخارجي كما جرى عند حرب ما نعي الزكاة من أبي بكر رضي الله عنه .

فالتنفيذ بقوة الدولة لتحقيق منهج الله في الاقتصاد ليس هو الأصل . بل هو الاستثناء . هو العلاج الأخير وليس العلاج الأول . فلا بد من الطريق المذكورة أن نسلك بعمق ودقة وعناية مع الجميع .

وإن تبقى بعد كل تلك الجهود ناس من الناس يريدون أن يحولوا دون التطبيق أو تحقيق مفعوله ، فلا بد من أن تبتز أيديهم لأنهم يريدون الإساءة للجماعة باسم حقهم الشخصي . وما مثال السفينة وركابها المستهين فيها عناية بعيد .

« فإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ، وإن تركوهم هلكوا وهلكوا جميعاً . » .

أما أن نأتي لتطبيق آخر الوسائل في بداية الطريق . فهذا تعسف في استعمال الحق ، وانحراف عن منهج الإسلام أو قل إذا شئت : ليس من الإسلام في شيء . إننا بحاجة لتذكر هذه الخطوط الأربعة من خطوط كثيرة وكثيرة

ونحن نتعرض لموضوع حساس غاصت فيه الأقلام ، وتشوهت فيه الحقائق وهو موضوع الثورة الإجتماعية التي تبناها فتى غفار أبو ذر .

فمن مفرط بحق أبي ذر رضي الله عنه يتهمه بالفتنة وإثارة الفوضى والإطاحة بحكم ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضوان الله عليه .

ومن مغال بحق الفتى الغفاري يجعله صاحب أول ثورة اشتراكية في الإسلام ، ومضطهد في سبيل الحق والعدل والإصلاح حتى ليجعلوا من ابن عفان مثال الحاكم الرجعي ، وصورة لدكتاتورية رأس المال إلى جانب الشيوعية التطبيقية .

وبالرغم من وعورة المسلك وتعقد المنطلق . فلا يعجز الباحث أن يرى النور من كبد الظلمة ويحتني الورود رغم أشواكها الداميات .

## لمحة عن التاريخ

لا بد من التعليق على ناحية كثيراً ما تغمض على القارئ الأديب وذلك بالذكاء والتلاعب الغريب الذي يقوم به بعض الكتاب لايهام القراء بثقة مصادرهم وصحتها . فكثيراً ما نرى في بعض الكتب روى الطبري في صفحة كذا وكذا .

والمعهود عند السواد الاعظم من الناس ان الطبري ثقة . فما أن يرى الرواية في تاريخه حتى يأخذها حقاً لا مجال للمراء فيه . ولا يمكن القدح فيها بأي شكل من الاشكال . مع ان هؤلاء الكتاب يستغلون قلة اطلاع القراء أو معظمهم على تلك المصادر التاريخية القديمة ، وسأمهم من التحليل والبحث في صفحاتها ، وقلة صبرهم على إسنادها . ويلجؤون إلى السهل الميسور الذي رتبته ثقافة المجلات والجرائد ، يتجهون نحو التاريخ المصاغ بالاسلوب القصصي السلس المستساغ ، ويقتنون معلوماتهم منها .

فكل ما كتب عن أبي ذر في الواقع كانت الغاية منه المتعة الأدبية ، والفكرة الغريبة المبثوثة . وسعة الخيال ، وجمال الأسلوب ، وضاعت الحقيقة التاريخية في ثناياه .

فكتاب - القلعجي - على أبي ذر الغفاري ، من جملة من أرخ لهم القلعجي من القادة القوميين في بلدنا واختار ما يناسبه من الروايات التي تناسق وهدفه المقصود من وراء ذلك على حساب عثمان بن عفان رضوان الله عليه .

وكتاب - السحار عن - الاشتراكي الزاهد - بأسلوبه الساحر البديع . إنما هو عبارة عن قصة تاريخية اشترك فيها الخيال بالواقع وامتزج الحق بالطيف وان كان أكثر الجميع تحفظاً من النيل من سحب رسول الله رضوان الله عليهم اجمعين وكتاب العيسى - عن فتى غفار - استهواه الأدب وجرت به النظرة القومية الاشتراكية إلى مغايرة الحقيقة التاريخية كلها ان اقتضى الامر . ولم يتورع وهو يتحدث عن عثمان كما يتورع وهو يتحدث عن أي امير اقطاعي مستضعف مستغل متخاذل . بل حفظ قلمه من النيل من قبيلة غسان حتى لا نتقدح فكرته القومية . وترك لسانه كالبرد في ظهر عثمان ومعاوية وعمرو تحت ستار العدل والحق والتحرر . وكتاب ناصر الدين - عن ابي ذر الغفاري - كان الدافع اليه الولع في القومية والاشتراكية ، فغمس قلمه كما غمسه العيسى كذلك .

وقد يعتقد البعض أن مجال النقد لهؤلاء الكتاب منبعث من تعصب أعمى للصحابة وتشددٍ بالفكرة التي ترفعهم إلى مرتبة القدسية والعصمة .

وحتى لا يكون هناك مجال لامثال هذه الافكار واستغلالها. حرصت على إبراز السند ولو أتعبت القارىء بذلك. وإبراز مصدره ليتمكن من الحكم على التاريخ نفسه لا من وجهة النظر الشخصية . بل من وجهة نظر الحق وحده .

إننا نفاجأ من جراء هذه الثقافة بالشببية المسلمة المشوهة في أعز تراثها في تاريخها . فنلقن هذه الصورة الممسوخة على مقاعد الدرس . نأخذها بكل أسف من مصادر الأدب لا من مصادر التاريخ . وذلك كالذي يريد أن يتعلم الطب من كتب التنجيم ، أو يود أن يتخرج مهندساً من حانوت الحداد .

إن هؤلاء الكتاب قد استقوا مصادرهم كذلك من كتب الأدب . من الأغاني - ومروج الذهب ، والعقد الفريد . التي لم يكن من قصد لكتابتها عند كتابتها إلا استهواء الجماهير عند جنوح الخيال ، وتعقد القصة وحلها بالشكل المثير للعاطفة والمحرك للنفسية شأنهم في ذلك شأن القصاصين الذين كانوا يجلسون في المساجد فيصنعون ما يشاؤون من الأحاديث . سواء كانت توافق الدين أو تخالفه . وكان اكبر همهم أن يصغي أكبر عدد ممكن من الناس لأحاديثهم .

ولئن كانت شعبية أولئك من العوام الجهلة . فبكل  
أسف شعبية قصاصينا اليوم من المثقفين ، والمتعلمين  
التقدميين كذلك .

وأعتقد أنه عندما تمر مائة سنة على عصرنا الذي نعيش  
فيه - إن بقي كل شيء على ما هو عليه ، وتابع هذا المنطق  
مساره - فسيلجأ الناس ليؤكدوا الحقيقة التاريخية عن أبي ذر  
الغفاري من كتاب - ناصر الدين - وأناشيد - سليمان العيسى -  
ويكون المطلع عليهم قد حصل على كنز لا مثيل له ولا نظير .  
وإذا بالاستهتار العلمي يودي فيما بعد إلى التشويه الكامل  
للحقيقة التاريخية .

وأعود إلى الكتاب مرة ثانية .

الكتاب الأذكىء الذين يسندون أخبارهم للطبري أو غيره .  
كيف يوهمون القراء صحة رواياتهم باعتماد هذا الاسم  
الساحر العجيب .

فلنستمع إذن إلى الطبري نفسه وهو يصف كتابه وتاريخه  
في مقدمة لذلك الكتاب العظيم (١) .

... فما يكن من كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض  
الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشعنه سامعه من أجل

---

(١) أورد هذا النص الأستاذ الباحث فتحي عثمان في كتابه (اضواء على  
التاريخ الاسلامي) .

أنه لم يعرف له وجهاً صحيحاً ولا معنى من الحقيقة فليعلم  
أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما آتي من بعض ناقله  
إلينا ، وإنما أديننا ذلك على ما أدي إلينا .

فالطبري إذن يقول عن كتابه أن في أخباره ما  
يستنكره القارئ ويستشعره السامع ، وليس له وجهاً من  
الحقيقة . وينبه قارئه إلى هذه الناحية ، ويوجههم إلى الطريقة  
الأنجح في الاستفادة من تاريخ الطبري .

هذه الطريقة هي معرفة تاريخ الرواة ومقدارهم من الثقة  
لدى علماء الإسناد ، ونقاد الأشخاص . ودراسة قول أئمة النقد  
فيهم مع التعرف على حياتهم من أمثال الذهبي وابن معين ،  
وابن الإثير وابن سعد وابن كثير في كتب الجرح والتعديل  
المشورة .

ومن هنا نستطيع أن نفهم مقدار التضليل الذي يقودنا  
الكتاب المحدثون إليه عندما يريدون أخبارهم من تاريخ الطبري  
دون إسناد .

وبمناسبة ذكر الطبري ورواته أستطيع الإشارة إلى أن  
الروايات المهمة ، أو العمود الفقري لرواياته المهمة تقوم على  
السرى وسيف وشعيب ، وهم من أوثق رواته على الإطلاق .

ونستطيع أن نطمئن تقريباً إلى كل حادثة وردتنا عن هذا  
الطريق بالذات (١)

ولا بد من التنويه أخيراً بصدد الحديث عن الطبري ، عن  
طريقته في الكتابة والتأليف . فهو يورد في الموضوع الواحد  
أكثر من عدة روايات أو حوادث تكاد تكون متناقضة . مما  
يجعل القارئ لأول وهلة يشك فيها ويختار . فإما أن يتركها  
كلها ، ويأخذ منها ما يوافق هواه . بعد أخذ ما يشاء  
منها ويحلوه .

فالواقع أن هذين الحلين يضطر القارئ إليهما مع موازين  
أخرى ، عندما لا يتمكن من معرفة رواة الحادثة  
ورجال السند .

وسبب هذه الطريقة المتبعة لدى ابن جرير في إيراد كلما  
شهر عن السنة الرواة من صحيح وحسن وضعيف ، هو أن  
لا يفوته شيء منها يمكن أن يدخل في علم التاريخ دون تسجيل .  
إنه موسوعة كاملة لكن التحقيق فيها على عاتق الباحث  
للؤوب والعهد عند الراوي .

هذا الشيء الذي نطلبه من المطلع على تاريخ الطبري ليس  
خاصاً بالطبري بالذات بل هو عام في كل خبر مهما كان مصدره

---

(١) كما حقق بذلك المرحوم الدكتور يوسف العش في مذكراته التي  
نشرت على طلاب السنة الثانية بكلية الشريعة .



في التحقق والتثبت منه . هذا وأود أن أشير إلى كتاب أعتقد أن على كل قارئ للتاريخ أو دارس له - أن يطلع عليه . وهو الكتاب المذكور آنفاً . أضواء على التاريخ الإسلامي للأستاذ البحاث - فتحي عثمان - فهو خير مرشد وهاد لمعرفة مصادر التاريخ وطريقة الاستفادة منه . والتعرف على المراجع والوثائق التاريخية القديمة . ومدى صحتها وثبوتها وصدقها . إنه منار السالكين في دروب التاريخ الإسلامي المجيد .

إننا نكون قد وقفنا على ناحية أحوج ما نكون إليها في الأبحاث القادمة عندما نتعرض لما قدمه الكتاب عن أبي ذر الغفاري وما فيه من مجانفة ومجانبة للحقيقة التاريخية الثابتة . وما تفرضه الأمانة العلمية والمنطق القويم أن تتبعه . دون أن نوجه الأحداث حسب ما تمليه الأهواء وتسيره الأغراض . نترك التاريخ يتكلم فيظهر بذلك تلك الصفوة من الأمة في أعظم الأبعاد التي يمكن أن تجول فيها من خلال النصوص ذاتها . وما يريده المنحرفون أن يحملوه للحوادث . ويتوقعوه كما يتصورون تماماً عن أشخاصهم وذواتهم هم كذلك .

ولا مندوحة من الاعتراف أنني مدين في الواقع إلى الأستاذ الجليل صادق إبراهيم عرجون في كتابه عن - عثمان بن عفان -

فلقد رأيت من بين جميع الكتاب المعاصرين الذين تحدثوا عن عثمان وافردوه بالبحث ، الوحيد الذي سلك منهج التحقيق

التاريخي والتثبت العلمي ورد فرية المفترين عن ثالث الخلفاء الراشدين .

وصلة هذا البحث بعثمان في الحقيقة صلة وثيقة وشجية . وهو مدار البحث والنقاش في الابحاث التالية من جهة علاقته بأبي ذر الغفاري .

وكتاب - العرجون - هذا هو أول من أرشدني إلى حقيقة هذه العلاقة وطبيعتها بين الصحابين الجليلين عندما ناقشها في فصل من فصول كتابه القيم العظيم .

وهو الذي دفعني لأن أوفي البحث حقه عن أبي ذر رضوان الله عليه . عندما كنت أفاجأ في الفكرة الثابتة الراسخة في اذهان جل الناس إن لم أقل كلهم . من أن عثمان رضي الله عنه حرم أبا ذر عطاءه ونفاه إلى الربذة وقضى عليه بالهلاك موتاً وجوعاً وعطشاً .

وكم نتمنى للكتّاب المؤرخين أن يحتذوا حذو هذا المنهج ويقتفوه فيحفظوا بذلك تاريخنا من التشويه وأمجادنا من المسخ والاندثار .

# المجتمع الإسلامي أيام عثمان

المجتمع أيام عثمان – الخليفة الثالث الراشد كان مجتمعاً حياً متطوراً ، أبواب العمل فيه متوفرة ، والفرص متاحة للجميع من أجل الانتاج المثمر .

وأموال الفتوح تتدفق من أقاصي الأرض إلى المدينة . منذ أن دانت الدنيا للمسلمين . ويمكن أن نوضح طبيعة المجتمع والفارق بين العهدين عهد – عمر وعثمان – كما يلي .

## عهد عمر :

هو كعهد الدولة التي تمر في مرحلة التصنيع . فتضع جميع إمكاناتها وطاقاتها واموالها في ذلك . وتقدر على نفسها وشعبها في النفقة كي تؤسس كيانها وتضيف كل وارداتها الى مشاريعها .

## وعهد عثمان :

ا هو كعهد الدولة التي آتى التصنيع فيها أكلة وفاض لانتاج ، وأخذت الأمة تقطف ثمرته وتجنّي شدة .

فكان عهد عثمان وفي سنيه السبع الأولى خاصة من أحلى  
الأيام وأمرعها وأخصبها التي مرت على المسلمين على الإطلاق ،  
حتى لتجد المال يرد إلى الدولة من كل حذب وصوب ، وانتشر  
الرفاه والثراء في أقاصي الدولة وأدانيها . وكان طريق الثورة  
مفتوحاً على مصراعيه لمن يريده عن طريق الغنائم والفتوح التي  
لم تنقطع طيلة العهد العثماني ، أو عن طريق العمل الزراعي  
الواسع الذي كان يتطلع بلهفة لليد العاملة المنتجة . فالأرض  
البكر ظمأى للانتاج والاثمار . أو عن طريق الوظائف  
الحكومية التي كانت متوفرة أكثر من ذي قبل . وذلك بعد  
اتساع رقعة الدولة وتشعب جوانبها وامتداد مساحاتها ، أو  
عن طريق التجارة التي كان الميدان فسيحاً أمامها لأبعد الحدود .  
فلقد نشأت أسواق جديدة وظهرت مراكز تجارية مستحدثة .  
كانت محرمة من قبل على المسلمين . وأصبح لإطمئنان حليف  
أبناء الأمة إذ ليس هناك من خطر داخلي أبداً . بل هو على  
أقاصي الشغور فلا خوف من غزو يحدث أو عدوٍ يكتسح أو  
حاكم يظلم ويهضم وينتقم . فما حوى التاريخ بين دفتيه أرحم  
ولا أحلم من عثمان الذي تستحي منه ملائكة الرحمن .

يقابل هذه الصورة المذكورة صورة فئة من هذه الأمة  
عزفت عن النعيم باختيارها ورفضت بإباء وشمم التمتع بلذة  
الحياة الدنيا وبهارجها ، رجليها في الركاب كلما سمعت هيلة  
طارت اليها . وما أن يصل الدرهم إلى يدها حتى تضعه في

وجوه الخير والبر . غير عابئة الا برغيفها الذي تتقوت به يومها  
وغير معيرة الاهتمام لبيت أو أثاث فاخر تقطنه . فحسبها أن  
تفترش الأرض وتلتحف السماء . تقتنع بالقليل الزهيد . أخذ  
الجهاد على نفسها كل مأخذ ، يرضيها أن تقيم الأود وعلى الدنيا  
واهلها السلام .

وأستطيع أن أقول وأؤكد بدقة أكثر . أن الفقر كان  
اختيارياً في هذا المجتمع الذي نشأ به أبو ذر رضوان الله عليه .

فلم يكن هناك فقر اجباري ، ولده التفاوت الطبقي  
والاحتكارات الرأسمالية والاستغلال الاقطاعي . لم يكن لمثل  
هذه الأسماء وجود في المجتمع الإسلامي . بل كان الشعب بأكمله  
يساهم بكافة طاقاته المذخورة في سبيل البناء الحيوي الجديد .  
دون أن تكون هناك الفئة المحرومة المظلومة . وتقابلها الفئة  
المالكة الظالمة . فليس الملك عوالة على أحد ، لأن بإمكان كل  
امرئ منها قلة مكانته الاجتماعية وضعفت امكانياته المادية  
وكان لا يملك قوت يومه أن يلتحق بأي ثغر ويرابط مع أي  
جيش . يأكل كما يأكل بقية أفراد الجيش . ويناله النصيب مما  
يغنم مثل غيره . وأما سكان البلاد الأصليون فهم يعملون  
بأرضهم وينتجون ثروتهم بأيديهم . على أن يعطوا حصة الدولة  
المسماة بالخراج بقدر معين . فما كان هناك إذن مجال للفقر في  
الدولة الإسلامية الراشدة أيام عثمان ، إلا من اختار البطالة دنياً

وشرعة له . وسأدع هذا الكلام والبرهان عليه جانباً لنستعرض  
ما جادت به قرائح الشعراء والأدباء عن هذا العصر الذهبي الذي  
حولوه بقدرة قادر إلى عصر اقطاعي أسود يعيد إلى ذاكرتنا  
صورة أمراء الاقطاع في أوروبا في القرون الوسطى .

فهذا ميدان جديد يغمس العيسى به قلمه الناطق بشاعريته  
وهو في ذروة اندفاعه :

إن الخليفة قد أناخ	الحكم في البيت الأثير
لعبت أمية بالزممام	وأمسكت بعرى الأمور
أغضت على المتهمسين	على الخصاصة بالنكير
وتشأخت فالمال مال	الشعب يعبث في القصور

إنه يدير الراح مرة ثانية بعد أن ذاق الكأس الأولى  
يعمرو بن العاص فعب الكأس الثانية حتى الثمالة في عثمان :

آذى أبو ذرٍ غمائم	ينسحب على الصباح
آذاه أن الحق لم جناحه	دامي الجناح
عثمان يا للظلم دمية	لاعب وحصاة داح
ومضى يريد الشام	ميداناً جديداً للكفاح

ها هو يصور لنا ثالث الخلفاء الراشدين في ظلمه أنه دمية  
لاعب وحصاة داح . بينما تعود غيرته العجيبة على الدين في نشيده  
لا مرحباً بك . تضع الف إشارة استفهام على العيسى الذي كان  
في الحقيقة دمية لاعبٍ وحصاة داح لأهوائه وميوله دون ورع

أو تحفظ أمام الحقائق التاريخية .

أمن الدين أن تجر ذيول العيش والناس أعظم في جلود  
أمن الدين أن تبيد جيوش الله كي تروى جيوش يزيد  
أمن الدين يا ابن عفان أن نغضي وتثرون من رقاب العبيد

أمن الدين يا سليمان أن تزور تاريخاً لترضي هوى متبعاً وإثرة  
أنانية ؟

أمن الدين أن تزرع حقداً في قلوب جيلٍ على عثمان الذي  
وضع دم قلبه وعصارة حياته كلها بين يدي قائده وفي سبيل  
دعوته . حتى ليغرق النبي يديه في المال ويقول : ما ضر  
عثمان ما فعل بعد اليوم ؟

أمن الدين أن تخون أمانة الرواية لتشبع غلك الطبعي ؟

أو ما تنتهي عن الغي والاثم وحشد الأذى وزرع الحقود

إنه جواب عثمان لك يا سليمان لا لأبي ذر فما كان فوه لينطق  
بهذا إنما الآثمون من حملوا العهد فخانوا ولم يفوا العهود .

إنه جواب أبي ذر لمن يخون أمانة الرواية ويشوه سمعة  
عثمان لا إرضاء لأبي ذر بل إرضاء لفرية الصراع الطبعي .

لك يا سليمان أن تدعي ماتشاء أما أن تلغ في عرض الصحابة  
فهذا إثم وبغي وخيانة . خاصة والحقيقة التاريخية تكذب هذا  
القول وتدعيه .

هذا ويطالعنا ثائر آخر هو - علي ناصر الدين - يحدثنا  
عن عصر عثمان يقول (١)

« أما الأمور التي شعر الناس في خلافة عثمان أن فيها  
شيئاً من الانحراف عن سنة الرسول وعن سيرة الخليفين من  
بعده ، فيجيء في رأسها موقف الخليفة عثمان من المستضعفين  
والفقراء ، وإهماله شأنهم ، ومظاهرتة الأقوياء والأغنياء عليهم ...  
ويتابع بكلام آخر :

ثم موقفه - اي عثمان - المتأثر بالعصبية عصبية الأسرة  
والقبيل من بني أمية . فقد ولاهم مناصب الدولة وأجرى عليهم  
ما لا يستحقون من الرزق بواسطة بيت المال أي مال الشعب .  
بتشيّد القصور واقتناء الضياع ليس في الحجاز فحسب ، بل  
في العراق أيضاً والشام ومصر . فكأنه أعان بهذا التصرف  
بحيث يقصد أولاً يقصد على تعميق التفاوت الذي كان بدأ

---

(١) في كتابة ابي ذر الغفاري ص ٩٨ ص ٩٩ من سلسلة الثائرون  
في التاريخ .



يخف بين الناس وعلى تكوين طبقة ارسقراطية من جديد كانت أخذت في الانحلال شيئاً فشيئاً بمفعول ماهية الرسالة وجهود الرسول والخليفتين من بعده .

بينما يأتي السحار في ملمسه الناعم يحدثنا عن ولاية عثمان فيقول (٢)

فعلم أبو ذر أن عثمان بن عفان اختيار خليفة للمسلمين فأطرق واكتأب وغمغم « عثمان بن عفان رجل صالح ما في ذلك من شك ولكنه ليس من القدرة والحزم والعزم بحيث يخلف عمر أو يملأ الفراغ الذي تركه عمر.. وتابع قوله بعد ذلك :

وبقي أبو ذر في المدينة ورأى ميل عثمان إلى بني أمية وتغلغل نفوذهم في الدولة الإسلامية . وانقلاب الحكم في عهده ملكاً له مظاهر الملك من عظمة وشرف وتهافت على الدنيا ، ورأى كثيراً من الصحابة يتغيرون فالزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف اقتنوا الضياع والدور وابتنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ، فرفع سمكها ووسع فضاءها ، وجعل أعلاها شرفات ، فقام أبو ذر لا يخشى خليفة ، ولا يهاب أميراً ، يدعو الناس إلى الزهد ويهاجم عثمان ...

---

(٢) في كتابه الاشتراكي الزاهد - ص ١٢٣ ص ١٢٤ .

تطالعنا هذه النصوص جميعاً من العيسى وناصر الدين  
والسحار في كبتهم عن أبي ذر الغفاري ، ونضع مقابلهما جميعاً  
نص واحد فقط رواه البخاري في تاريخه عن الحسن البصري  
قال : (١)

« أدركت عثمان على ما نعموا عليه قل ما يأتي على الناس  
يوم الاوهم يقتسمون فيه خيراً يقال لهم :

يا معشر المسلمين اغدوا على اعطياتكم . فيأخذونها وافرة ،  
ثم يقال لهم : اغدوا على ارزاقكم فيأخذونها وافرة ، . ثم  
يقال لهم : اغدوا على السمن والعسل . الاعطيات جارية ،  
والأرزاق دارة ، والعدو متقى : وذات البين حسن ، والخير  
كثير ، وما من مؤمن يخاف مؤمناً ، ومن لقيه فهو أخوه .

---

(١) رواه موسى بن اسماعيل عن مبارك بن فضالة عن الحسن البصري.

## جَوْهَرُ دَعْوَةِ أَبِي ذَرٍّ

هذه الصورة التي نقلها لنا الحسن البصري - مسبقاً -  
شاهد عيان لذلك العصر العثماني الزاهر من أوثق المصادر  
وأصحها على الإطلاق عن شيخ المحدثين البخاري، رضي الله عنه.

أما فكرة الفقر الاختياري التي أثبتناها في مستهل البحث  
السابق، والتي مثلها على أوسع نطاقها وأعرق أبعادها أبو ذر  
الغفاري، رضي الله عنه، ذلك اللحن الخالد الذي كان يوجه  
الأنظار دوماً إلى الله والآخرة، والجهاد وضعة الحياة الدنيا.

فكرة الفقر الاختياري نلمحها في ثنايا النص الذي رواه ابن  
سعد في طبقاته (١).

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد - الجزء الرابع، رواية يزيد بن هارون  
عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي ذر.

« قال له عثمان - أي لأبي ذر - : كن عندي تغدو عليك وتروح اللقاح . قال : لا حاجة لي في دنياكم » .

وما رواه الطبري في تاريخه في ثنايا النص كذلك <sup>(١)</sup> .

« أما إنهم ليس لهم من مال إلا ولي مثله » .

وقد أورد السحار في كتابه عن أبي ذر ، قصة سؤال حبيبة ابن مسleme والي عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الشام عندما بعث يسأل عن صاحب رسول الله أبي ذر الغفاري ، فقال رسول الأمير :

« قد بعثني مولاي اليك بثلاث مئة دينار لتستعين بها على حاجتك . فقال أبو ذر : قم بها اليه . أو ما وجد أحداً أعز بالله عز وجل منا ؟ ما لنا إلا ظل نتواري به ، وثلة من غم تروح علينا ، ومولاة لنا تصدقت علينا » .

كما روى كذلك القصة التالية :

أخذ أبو ذر عطاءه فخرج مع عبد الله بن الصامت ، واستصحب معه جارية واتجه الجميع الى السوق . فجعلت

---

(١) رواه الطبري عن السري عن شعيب عن سيف ، عن سلمة بن نباتة .

الجارية تقضي حوائج أبي ذر ، وبقي معها بعض الفلوس فناولته إياها ، فجعل أبو ذر ينفقها . فقال له عبد الله بن الصامت :

لو ادخرتها لحاجة بنيك وللضيف ينزل بك .

فقال : إن خليلي عهد إلي أن أيما ذهب أو فضة أو كىء عليه فهو جمر على صاحبه ، حتى ينفقه في سبيل الله .

فقصة الفقر إذن لم تتغير بالنسبة لأبي ذر سواء كانت أيام الرسالة أو الخلفين من بعده أو عثمان الخليفة الراشد الثالث . هو هو لم يتغير ، وما كان حرص أبي ذر على هذه النوعية من الفقر إلا حله أن يكون صفي الرسول ﷺ في مجلسه وقربه في مقامه .

فهو الذي روى عن رسول الله ﷺ قوله فيما روى الإمام أحمد عنه :

« إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئة يوم تركته فيها ، وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد نشب فيها بشيءٍ غيري . »

ومنذ فجر الرسالة وفي الصحابة أغنياء ينفقون ، وفقراء قدموا حياتهم للعلم والجهاد ، ولم يتغير جديد في زمن عثمان رضي الله عنه .

وما عهد عن النبي ﷺ أن طلب من الأغنياء أن ينفقوا كل أموالهم حال السعة والوفرة واتساع مجالات الرزق .

فما هو المغزى الكامن إذن وراء دعوة أبي ذر الغفاري التي كان لها ذلك الصدى الواسع في صفوف الأمة المسلمة آنذاك .

ولنقف قليلاً أمام الكلمات التي كانت تحمل جوهر هذه الدعوة :

« يا معشر الأغنياء ، واسوا الفقراء ، بشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » .

فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء ، حتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس .

وأمام هذا النداء الجلي من مسلم نزيه مترفع عن متاع الدنيا ومغرياتِها ، انصاعت له الدنيا وهي راغمة فما أبه لها ولا أعارها التفاتاً . وكان النداء في الواقع محبباً الى الأغنياء والفقراء على السواء ، من أجل أن تكون المواساة ذات دافع داخلي عميق . لكن عندما أصبحت فريضة يراها الفقراء على الأغنياء تغيرت النظرة وتبدلت الفكرة . فهناك حدود محدودة ؛ الحرام فيها بيتن والحلال بيتن .

وفي اعتقادي أن الدعوة التي قام بها المسلم العظيم أبو ذر رضوان الله عليه يمكن تطبيقها في مجتمع لا يزال يعاني من الجهد والعسر والضنك والضييق ما لا قبل له به . فعندئذ تصبح أمراً ضرورياً في التزام الأغنياء تقديم كل ما يملكون ، ما دام فقير واحد لا يجد قوت يومه . وفرص العمل مسدودة أمامه ولا مجال بين يديه للعمل .

وهذا ما رأيناه بوضوح في فجر الدعوة عندما وجدت فئة المهاجرين الذين اضطرتهم ظروف الدعوة الى التخلي عن أموالهم وأهليهم وممتلكاتهم تحت الضغط الرهيب من العدو . فدعوة أبي ذر آنذاك هي الحل الوحيد الذي ينقذ نصف الأمة من الهلاك .

ولقد رأينا الأغنياء أنفسهم في تلك الظروف العصبية ، يتخلون عما يملكون بدافع العقيدة التي تعتبر أغنى ممتلكاتهم على الإطلاق .

فالجيش كان تجهيزها على عاتق الأغنياء ، والعبيد كان تحريرهم على عاتق الأغنياء والمرافق العامة كان تأمينها على عاتق الأغنياء . والمرابطون في سبيل الله كان راتبهم على عاتق الأغنياء ، والمنقطعون للعلم والعبادة كان موردتهم على عاتق الأغنياء . وهذا الذي رآه أبو ذر زمن الرسول عليه الصلاة والسلام والخليفين من بعده . وهو الذي تغير القليل فيه أيام عثمان . تغير لأن مصادر

الدولة اتسعت كما قلنا ، وأصبحت هي المسؤولة عن تأمين هذه المرافق جميعها دون استثناء .

أما نفسية المسلم العظيم فتريد من الناس أن يترفخوا جميعاً عن دنياهم ويتجهوا في قلوبهم الى الله ، تريد من الناس جميعاً أغنياء وفقراء أن يعيشوا بالمستوى الذي كان يعيشه أبو ذر نفسه على القليل من الزاد والزهد الزهيد من المال وأن لا يكون المال كنزاً يقتنى أو ثروة تجمع أو مالية تحفظ .

إنه يريد من المال أن يكون للإنفاق حالما يصل الى اليد كما فعل هو نفسه عندما أخذ عطاءه . إنه يدعو الناس الى أن يقتدوا به ويتبعوا نهجه ويسلكوا سلوكه .

هو يدعو الناس الى مثالية عاشها بواقعه ، وهذا ما لا يمكن للدولة أن تتبناه وتفرضه على الناس . هذه الدعوة الكريمة الرائدة وإن كانت متعذرة التطبيق أو صعبة النهج ، غير أنها تشيع في المجتمع نظرة جديدة للمال تجنب أفراد هذا المجتمع العبودية للمال أو الانكباب عليه ، توجه الأنظار دائماً نحو جعل المال وسيلة لا غاية . إنه يقف في قمة الجبل الأشم ، ويدعو الناس للصعود نحوه ، وتختلف الإجابة من ملب الى آخر ، غير أن الأنظار ستصوب جميعاً نحوه ، وستتجه الهمم اليه ، وأمام هذا التصويب والاتجاه لن يتمكن المعارضون لخط السير أن يوقفوا الزحف أو يعيقوه .



وهذا في رأيي جوهر دعوة أبي ذر وهذا ما دعا الناس اليه  
وآمن به وناقش وناقش عنه لم يتزحزح عنه لحظة . مثالية رائدة  
طبقتها وتبناها قبل أن يدعو الناس اليها وعاشها قبل أن ينادي  
بها ، فأتت أكلها بين جنبات المجتمع ونواحيه .

أما السؤال الهام الذي أثار الانتباه فهو على ما يبدو ، كيف  
حوّرت هذه النظرة ، وهل كان الفقراء على وعي تام لها ، أو  
قل بصورة أدق هل أدرك الناس مرمى أبي ذر وراء دعوته ؟  
وهذا ما سأجيب عنه .

الواقع أننا حيال فئة ثالثة منظمة أو قد تتنظم ، تخطط في  
الخفاء ، وتعيش في الوحل ، وتلتقي في الظلام كالحفافيش ، راعها  
هذا التجاوب العميق بين أبناء الأمة المسلمة وهاها هذا التوافق  
والتساند بين أغنياء المسلمين وفقرائهم على السواء .

### فماذا تريد ؟ وما هي ؟

إنها بالضبط مكونة من العجم واليهود الذين بهرهم نور الحق  
فلم يتمكنوا من حربه العلنية ، وبالأحرى قد تحطموا في تلك  
الحروب .. دكت أراضيتهم ، وديست أحقادهم ، وانثلت  
عروشهم فلم يعد لهم إلا أن يتنكروا بلباس الإسلام ويظهروا  
بردائه .

وعلموا أن لا سبيل لهم الى غاياتهم إلا ضرب ذات البين

الحسنة ، وإشاعة البلبلة والاضطراب في الصفوف ، وبث الفتنة والحقْد بين جوانح الإخوة المسلمين. وإذا أردنا أن نحدد بالضبط رأس هذه الفتنة لوجدناها قد ابتدأت بالعقري العظيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، على يد الغلام الرجس المجوسي أبي لؤلؤة الفارسي ، غلام المغيرة بن شعبة الذي شكّا لعمر اضطهاد المغيرة له بما يأخذه منه كل يوم .

كان عمر - رضي الله عنه - أعمق من أن يأخذه الهوس بحق المظلومين والمضطهدين الى استباحة عرض الناس أجمعين . فتعرف على مهنة أبي لؤلؤة ، إذ به نجار ونقاش وحداد ، فلم يجد ظمًا فيما يأخذه منه سيده المغيرة الثقفي ، وكان أبو لؤلؤة قد أعلن عن اختراعه العجيب الذي يحلم به ، أن يصنع رحاً تدور في الهواء .

ذكره أمير المؤمنين بما وعد به ، فنظر العامل المتمسكن بعمر و قال : لأصنعن لك رحىً تتحدث بها العرب .

وعرف الخليفة العظيم أن الغلام قد توعده فسكت على مضض ، وامتدت يد الإثم والغدر والخيانة الى عمر فاغتالته . وبعد التحقيقات المتواصلة اكتشفت مؤامرة فارسية ، كان على رأسها الهرمزان وثلة من قومه حين فاجأهم أحد الصحابة فارتاعوا وسقط الخنجر من ثوب أحدهم الذي تلوث بدم الخليفة العظيم فاروق الأمة ابن الخطاب .

هذه إصبع الوثنية الفارسية قد ظهرت بوضوح، فأين إصبع اليهودية العالمية ؟ تجلت هذه الإصبع الخبيثة في الوصية المشبوهة من كتب الأحبار التي قدمها لعمر يهدوء :

أوصِ فإنك ميت بعد ثلاث .

وعجب عمر من كلمة واهتم بها أكثر من اهتمامه بتهديد الغلام الوثني له بصنع رحاه . فكتاب الله التوراة والإنجيل ، هل هو كتاب منزل لهداية الخلق ، أم سجل مدني للوفيات والولادات ؟ وكيف احتوى بالدقة يوم كذا من سنة كذا من شهر كذا وفاة ابن الخطاب ؟

ثم كيف احتوى هذه الدقة ولم يحتو بالدقة تحديد يوم وفاة الرسول ﷺ أو يوم وفاة صاحبه الصديق أبي بكر .

إنها إشارة استفهام تكبر حتى تملأ الدنيا في حقيقة هذه الصيغة الناعمة الملسة التي أنذر بها كعب ابن الخطاب بالمؤامرة .

هذه خيوط اليهودية والوثنية التي فتحت باب الفتنة على مصراعيه في قتل فاروق الأمة وعبريها عمر بن الخطاب .

وهي بكل دقة وحذر المسؤولة كذلك عن وفاة الخليفين من بعده عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، وكان بطل المؤامرات كلها اليهودي الرهيب عبد الله بن سبأ ، وابن السوداء ، وهو الذي

عمق أبعاد التنظيم ودقة التخطيط ، وجعل دُماه وأحابيله من سواد الأعراب الذين فقه نفسيتهم ، وتعرف على شخصياتهم عن كُتب فجعلهم أداة لمؤامراته .

وسلك من نقطة الانطلاق التي ابتدأها رجل الوثنية أبو لؤلؤة ، من فكرة الظلم الاجتماعي والتفاوت الطبقي . كانت نقطة فتبناها ابن السوداء فكرة وراح يبشها بواسطة جنوده ودماه في صفوف الدولة الإسلامية كاملة .

ونعود بعد هذا التجوال الى أبي ذر الذي يريد أن ينفذ عن هذه الأمة لوثة المادية ، وولع النفعية ويتجه بها الى الله ، بينما كان ابن سبأ يريد أن يتخذ من هذه الدعوة بالذات تكأة للانحدار بهذه الأمة الى لوثة المادية وولع النفعية . وكانت المعركة صامتة بين الجانبين . تبدو هادئة خفية حيناً ، عنيفة واضحة حيناً أخرى .

لكن الوعي العميق لدى أبي ذر ، كان أعظم بكثير من أن يغلبه باطل اليهودية الرهيب . وهذا ما سنلقى تفاصيله بالصفحات القادمة .

# اليهودية بين معاوية وأبي ذر

« صوت يجلجل »

تحت هذا العنوان راح الشاعر العيسى يقدم لنا معاوية بن أبي سفيان :

ويح ابن هند غره ملك وجنات وضاء  
ومنافقون يزبنون له الضلالة كيف شاءوا  
أتصب في الخضراء آهات اليتامى والشقاء ؟  
أفتسهرون على الطوى ويغط حولكم الثراء ؟  
قولوا له إنا عراة أهلنا غرثى ظماء !  
أفتسكتون؟ طعام أكثركم حصى يغلي وماء  
وتصب في الخضراء أنات اليتامى والدماء  
ويح ابن هند غره ( ملك وجنات وضاء )  
بفقر الجوعى ليغنى الأغنياء . . .

لم يكن هذا بالتأكيد كلام أبي ذر يصبه حقداً على معاوية ،  
إنما كان في الحقيقة لغواً وهذراً من سليمان لأن الفتى الغفاري  
أرفع بكثير من هذا المنحدر ، أن يعالج فكرة بشخص لأن  
الفكرة فوق الأشخاص . إن هناك أغنياء يناشدكم ليسوا من  
صلب معاوية فقط حتى يصب جام غضبه على البيت الأموي  
كله ، رغم شديد كلفه ببني هاشم .

إنه لا يعني غنياً بعينه دون سواه ، كما علمه قائده عليه  
الصلاة والسلام . إنه ينقل صرخته المدوية وصوته المجلجل الى  
الشعب الذي يعيش بين ظهرائه لا الى ابن هند فقط . أما لماذا  
تدخل معاوية فلا غرو في ذلك ، فهو الحاكم المسؤول عن كل ما  
تتوج به الدولة من آراء مؤثرة وهادفة .

وأتى معاوية النداء فهب يستدني المنادي  
ويحس بالصلة الجزيلة عود ذي شمم جواد  
وإذا الصحابي القديم على الرسالة في عناد  
صوت يجلجل حيث سار كأنه للحق حادي  
ترمي به في قبرص في الروم ساحات الجلال  
فيعود بالظفر الأغر من الجهاد الى الجهاد  
وانشقت الصحراء عن فرس الى عثمان غادي  
يطوي القفار برقعة إن اللهب على اتقاد  
قد أصبح ابن جنادة ينهى ويأمر في العباد  
أنا لست آمن أن يفيق المؤمنون على فساد

وليتك يا شاعر البادية تحققت مما كتب عثمان لمعاوية بحق  
أبي ذر، إذن لكنت اللحن المعبر عن هذه القصة الحرية بالخلود.  
ولسانك العذب السلسال لكنك دائماً تلسع بالإبر الحداد .

وأقاه إيدان الخليفة مثل هاجرة البوادي  
أحمه عبر القفر مثل ندائه جوعان صادي  
واقرع من استمعوا الى نجواه بالإبر الحداد .

هذا ما قاله الشعر الأدبي على لسان المنشد المحدث العيسى .  
وهذا ما قاله النثر الأدبي على لسان ناصر الدين في كتابه  
« أبي ذر الغفاري » (١) :

« وذهب يوماً الى معاوية .. فقال له : بلغني أنك تقول أن  
المال مال الله وليس مال المسلمين وكأن ذاك يعفيك من بذل  
المال في سبيل الله، ويبرر إنفاقك هذا المال على نفسك وأهلك  
وذويك وقصورك دون المسلمين المقاتلين والعاملين المعوزين » .

وبعد شرح موفق لسبيل الله ، أفهم — علي ناصر الدين —  
لمعاوية عاد فختم مقالته في الصفحة ١٠٨ :

« وليس من حقه أن تكنز هذا المال لتنفق منه على ملاذك

---

(١) سلسلة الثائرون في التاريخ — أبو ذر الغفاري ص ١١٧

وما تحقق رغباتك الخاصة وأهوائك على بني أمية ومن اليهم ،  
من لا يراجعك في حق ولا في باطل تزلفاً منهم اليك ونفاقاً ..»

ثم يعود بعد قليل ليقدم لنا نفسية معاوية - على حد زعمه -  
قائلاً :

« ولجأ معاوية الى ما يلجأ اليه حكام اليوم من خسيس  
الوسائل لاسترضاء أبي ذر ، فوقع في الخطأ الشنيع الذي يقعون  
فيه من ضلال في التقدير للأنفس والضمائر . لجأ الى المال فبعث  
اليه يوماً بثلاثمائة دينار . فقال أبو ذر لحاملها بكل بساطة :

« إذا كنت من حقي الذي حرمتومنيه فأني أقبلها ، وإن  
كانت صلة فخير لك أن تردّها وقل له أنه ضل السبيل . »

لقد اكتفى الكاتب المحترم أن يشير الى حرمان أبي ذر  
حقه ، لا تركه له باختياره كما سبق وأثبتنا من قبل . ثم ينتهي به  
المطاف عند هذه المحاورة حيث يبلغ به خياله الذروة في الاندفاع  
في التحليل والتحوير لنفسيات أبي ذر ومعاوية كما يشتهي أن  
تكون :

« فضاق به معاوية ذرعاً وأمر يوماً أن يدخلوه عليه ،  
فقال له :

يا عدو الله وعدو رسوله ، تأتينا كل يوم فتقول ما تقول ،



أما اني لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك .

فأجابه أبو ذر في لهجته المتميزة بالقوة والهدوء :

ما أنا بعدو الله ولا لرسوله . بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر .

وكاد يثور غضب معاوية لهذه الصدمة العنيفة . ولكنه ملك نفسه وقال مهدداً :

يا أبا ذر حذار فلن أنهاك عن شيء بعد اليوم .

لقد حرصت جاهداً وأضناني البحث وأنا أكد في معرفة المصدر الذي اعتمده ناصر الدين والعيسى في هذا اللقاء والنقاش بين معاوية وأبي ذر، الى أن وقعت على كتاب « أعيان الشيعة » للسيد محسن الأمين العاملي فوجدت أنه المرجع الوحيد الذي تبناه تقريباً كل من كتبوا عن أبي ذر الغفاري ، ولا بد لنا من كلمة بهذا الصدد عن هذا المرجع .

فالسيد محسن الأمين من الشيعة الإمامية ، ولإخواننا الشيعة منهج يختلف جملة وتفصيلاً في البحث عما هو عليه أئمة السنة .

فالثقة بالحديث لديهم لا تأتي إلا إذا كانت مروية عن رجل

من أهل البيت . وهذا يعني أن منهج البحث عندنا ، وعلم أصول الحديث ، وتاريخ الرواة ، وعلم الاسناد وكل التحقيقات حول الرواية والروايات يمكن أن يوضع عليها إشارة استفهام ما لم تكن واردة عن أحد أهل البيت .

هذا ولست بصدد مناقشة هذا الرأي ، ولكن الذي أود أن أقوله أننا نقف موقفاً واحداً من الراوي مهما كان شأنه حتى تثبت صحة روايته ، وصحابة رسول الله كلهم عندنا عدول دون منازع .

والناحية الثانية التي لا بد من الإشارة إليها هي أن السيد محسن الأمين كان فيما كتبه عن أعيان الشيعة يرجع كل شيء الى مصدره الذي استقاه منه ، وهذه ولا شك من أمانة الرواية .

والموقف الذي سنتخذه بصورة عامة من هذا المصدر الموسع الضخم هو مصدر التوقف حتى يصح الاسناد عندنا ، ولا نحاجي في الحق أحداً ، هذا من جهة ومن جهة ثانية نحن نرفض كل إنقاص بقيمة أي صحابي ونحن أميل في كل مناسبة الى رفض كل رواية تثير صور الخلاف في أوسع أبعاده لاعتقادنا أن للصحابة رضوان الله عليهم مستوى معين تربوا به على يدي قائدهم عليه الصلاة والسلام ، وإن كان مصدرنا الأول والأخير صحة الرواية وثبوتها قبل كل شيء .

بعد هذه الكلمة المقتضبة نود أن ننقل للقارىء تمة رواية  
ناصر الدين في ذلك اللقاء العجيب .

ولكننا قبل أن نعود الى تمة رواية ناصر الدين لا بد أن  
نضع الرواية باسهاب ضمن إطارها التاريخي كما أوردها السيد  
محسن الأمين في « أعيان الشيعة » .

« .. روى شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب السفينانية :

كنت عاملاً لمعاوية على قنسرين والعواصم في خلافة عثمان .  
فجئت اليه يوماً أسأله عن حال عملي إذ سمعت صارخاً على باب  
داره يقول : أتكم القطار بحمل النار . اللهم العن الأمرين  
بالمعروف التاركين له . اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين  
له . فازبأر معاوية وتغير لونه وقال : يا جلام أتعرف الصارخ  
من هو ؟ قلت : اللهم لا .

قال : من عذيري من جندب بن جنادة يأتينا كل يوم  
فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت . ثم قال : أدخلوه عليّ . فجيء  
بأبي ذر بين قوم يقودونه حتى وقف بين يديه فقال له معاوية :

يا عدو الله وعدو رسوله ، تأتينا كل يوم فتصنع ما تصنع .  
أما إني لو كنت قاتلاً رجلاً من أصحاب محمد من غير إذن أمير  
المؤمنين عثمان لقتلتك ولكني أستاذن فيك .

قال جلام : و كنت أحب أن أرى أبا ذر لأنه رجل من قومي . فالتفت اليه فإذا رجل أسمر ضرب من الرجال خفيف العارضين في ظهره حناء ، فأقبل على معاوية فقال : ما أنا بعدو الله ولا لرسوله ، بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله ، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر .

«حتى هذا القسم أوعزته لكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد . أما القسم الثاني فتتمته لابن أبي الحديد ، وسنتابع القسم الثاني كما ورد لدى ابن أبي الحديد عن أبي عثمان الجاحظ في كتابه السفينانية :

وقد لعنك رسول الله ﷺ ، ودعا عليك مرات أن لا تشبع . سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا ولي الأمة الأعين الواسع البلعوم الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الأمة حذرهما منه . فقال له معاوية : ما أنا بذلك الرجل . فقال أبو ذر : بل أنت ذلك الرجل ، أخبرني بذلك رسول الله ﷺ ، وسمعتة يقول وقد مررت به : اللهم العنه ولا تشبعه إلا التراب . وسمعتة ﷺ يقول : است معاوية في النار .

فضحك معاوية وأمر بحبسه .

وكتب الى عثمان فيه فكتب عثمان الى معاوية :

أن احمل جندياً إلي على أغلظ مركب وأوعره فوجه به مع

من سار به الليل والنهار ، واحمله على شاربٍ ليس عليها  
إلا قتب .

حتى قدم المدينة ، وقد سقط لحم فخذه من الجهد ، فلما  
قدم بعث اليه عثمان : الحق بأي أرض شئت . قال : بمكة .  
قال : لا . قال : بيت المقدس . قال : لا . قال : بأحد المصريين .  
قال : لا .

ولكني مسيرك الى الربذة فسير اليها . فلم يزل بها حتى  
مات <sup>(١)</sup> .

ونعود ثانية لنضع نشيد العيسى حيث تبنى هذه الرواية ،  
بوصفه لهذه الرحلة تحت عنوان : صوت يجلجل .

وأناه إيدان الخليفة مثل هاجرة البوادي  
احمل أبا ذرٍ إلي على أحر من القتاد  
احمله عبر القفر مثل ندائه جوعان صادي  
واقرع من استمعوا الى نجواه بالإبر الحداد

ونود أن نقول كلمة بسيطة حول هذه الرواية التي كانت  
المصدر والمرجع لجميع من كتبوا عن أبي ذر الغفاري من الكتاب  
المعاصرين .

---

(١) أعيان الشيعة ص ٥٠٧ و ٥٠٨ .

أولاً : إنها قد وردت في كتاب أعيان الشيعة ، مأخوذة من المؤرخ ابن أبي الحديد . وابن أبي الحديد ليس مؤرخاً ثقة عند أهل السنة لمغالاته في التشيع ، وقبوله لكل ما يروى عن صحابة رسول الله ﷺ دون تمحيص .

ثانياً : عندما أورده ابن أبي الحديد كان المصدر الذي استند إليه هو كتاب السفيانية لأبي عثمان الجاحظ . والقسم الذي ورد في الطبقات الكبرى لابن سعد يستند كذلك الى كتاب السفيانية لأبي عثمان الجاحظ . فالعهدة في هذه الرواية كلها هي للأديب الكبير أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ..

ثالثاً : وإننا حين نقر ونعترف للجاحظ بأدبه وفضله وأنه كان من أعظم ما حوت العربية من أدباء على الإطلاق وأنه في القمة من البلاغة والأدب والفصاحة . هذا شيء ، والتحقيق التاريخي صحيح الثبوت شيء آخر ، ينفصل عنه تماماً . فللأدب مجاله وذووه وأهل الاختصاص فيه . وللتاريخ مجاله وذووه وأهل الاختصاص فيه .

ولم نعرف أحداً من المؤرخين اعتمد الجاحظ في رواياته وأسانيده . وإنه من الفضوح التاريخي والعار الشنيع أن نعتمد صحة الروايات من كتب الأدب التي لا تهدف إلا الى التفكه والتسلية والعبث والمتعة . وليس مهمتها

التمحيص والتدقيق فيما ترويه ، بل مهمتها أن تعتمد  
لأطراف الأشياء وأغربها وتثبتها في الكتب لتسلي العامة  
وترفه عنهم .

فنحن إذن ننكر الرواية جملة وتفصيلاً لهذه الأسباب ،  
وهذا يستدعي بالتالي إنكار كل مصدر اعتمد عليها أو  
جعلها مفتاحاً لشرح شخصية أبي ذر الغفاري رضي  
الله عنه .

رابعاً: ويجب أن لا يغرب عن البال أن الجاحظ نفسه - الأديب  
الكبير - كان مغرقاً في تشيعه أو اعتزاله . وكان  
يرئس فرقة تسمى نفسها على اسمه وهي : الجاحظية .  
لها آراؤها ومنطقاتها ومقاييسها . هي مجال مناقشة  
كاملة لدى أهل السنة والجماعة .

ولنترك الآن عالم الأدب ، وندخل عالم التاريخ الرحب  
فنتعرف على حقيقة مجريات هذه الحوادث .

روى الطبري عن السري عن شعيب عن سيف عن عطية  
عن يزيد القفعمسي<sup>(١)</sup> لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر فقال:

---

(١) لا بد من التذكر أن هذا السند هو أصح إسناد الطبري على الإطلاق،  
فهو أصح ما ورد عن الطبري . الجزء الثالث ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

يا أبا ذر ، ألا تعجب الى معاوية يقول : المال مال الله ، الا  
إن كل شيء لله . كأنه يريد أن يحتجبه دون المسلمين ، ويمحو  
اسم المسلمين .

فأتاه أبو ذر فقال :

ما يدعوك الى أن تسمي مال المسلمين مال الله ؟

قال : يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله ، والمال ماله  
والخلق خلقه والأمر أمره . قال : فلا تقله .

قال : فإني لا أقول ليس لله ، ولكن سأقول : مال المسلمين .

فأتى أبو الدرداء فقال له : من أنت ؟ أظنك والله يهودياً .  
فأتى عبادة بن الصامت ، فتعلق به فأتى به معاوية فقال :

هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر . «

فخيوط المؤامرة إذن واضحة لا تحتاج الى بحث وتنقيب .  
فابن السوداء يقدم نفسه باسم المسلمين والدفاع عن حقوقهم هو  
الذي أعطى التفسير المناسب له : مال الله .

إن غاية معاوية من وراء ذلك هو احتجابه المال لنفسه دون  
اسم المسلمين ومحو اسم المسلمين من القائمة . هذا التفسير العجيب



الذي لم يتوصل اليه كل أصحاب رسول الله ﷺ المقيمين في الشام، وكان قصب السبق فيه لابن السوداء - دعي الإسلام ودخيله - .

ما هذه العبقريّة الفذة التي جعلت من ابن سبأ هو الوحيد القادر على معرفة غاية معاوية وممرماه !

وتصل العبقريّة لدى اليهودي الخبيث حين يقدم لنا معاوية عارياً من الظواهر والتلبس باسم الدين فيقول عنه :

— إنه يريد محو اسم المسلمين .

هكذا بكل سهولة ليتخلص من حق الناس أجمعين، ويجعل هذا المال لنفسه من دون المسلمين .

وأبو ذر الذي عرفناه في حساسيته وحرصه على أن يمثّل الدور المشرف الفعّال في توجيه الأنظار الى الله والآخرة والجهاد. أراد أن يسد هذه الثغرة التي يمكن أن ينفذ منها المغرضون لبث الفتنة وتفريق صف الأمة المسلمة .

فاتجه الى معاوية وجرى بينها هذا الحديث الواضح البسيط في مبناه ، العميق في معناه :

أبو ذر : ما يدعوك أن تسمي مال المسلمين مال الله ؟

معاوية : يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره ؟!

أبو ذر : فلا تقله .

معاوية : فإني لا أقول ليس لله ، ولكن سأقول : مال المسلمين .

فماذا نستنتج من هذه المحاوراة إذا رفعنا أي صورة مشوهة مسبقة أو أي نية خبيثة مسبقة ، فماذا يوحي هذا النص ؟؟

إنه الاحترام العميق العميق المتبادل بين معاوية وأبي ذر .  
فدالة أبي ذر رضوان الله عليه على معاوية قوية ، يدخل اليه متى شاء وينصحه ويوجهه متى أحب دون أن يغلق الباب دونه ،  
فلذلك ابتدره قائلاً :

— ما يدعوك الى أن تسمي مال المسلمين مال الله ؟

ومن جهة ثانية ، فالثقة المتبادلة بين الصحابين أعمق وأوثق بكثير مما نتوهم وجوده بين الأخوين العزيزين .

لم تستطع يد المؤامرة أن تدفع أبا ذر لیتهم معاوية ويواجهه بقوله :

— إنك يا معاوية تريد أخذ مال المسلمين ومحو اسمهم وأكل حقوقهم — كما يشتهي المؤرخون المحدثون عن أبي ذر ، وهم يقدمونه لنا في قصصهم وأناشيدهم ، لقد فوت على ابن السوداء

فرصته أن يدير معركة بين الطرفين، يفتح الطريق أمام أبي ذر للاتهام ، فيغضب معاوية ويدفعه إلى الرد باتهام أقوى وأشنع ، وتقع الواقعة ويفرح أعداء الله بتمزيق كلمة الأمة .

لقد مضى أبو ذر مستفهماً موضحاً ، ولم يمسّ متهماً موجحاً . كما أراد له اليهودي أن يفعله ، ووقف معاوية أمام أبي ذر موقف المجيب باحترام وأدب واضحين :

« يرحمك الله أليس المال مال الله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره ؟؟ » .

فلم يرَ معاوية إذن في هذه التسمية خروجاً على مبادئ الإسلام أو طعنًا في أسسه أو محاربة لتشريعته . إذ أن الحقيقة أنه مال الله من حيث المبدأ والأساس فأدلى حجته أمام أبي ذر .

لكن ما سمعه أبا ذر من كلام ابن السوداء وخاف أن يتبع ذلك آلاف من الأسئلة يثيرها ابن السوداء في نفوس الطيبين العوام من المسلمين .

اكتفى بهذه الكلمة الحاسمة القاطعة التي أصدرها بصفة الأمر — فلا تقله — .

وانتهى الأمر دون أن يبرز الأسباب الداعية لذلك ، ولم يكن معاوية ليرى لنفسه — وهو الأمير المطاع في الشام —

الحق في أن يسأل عن الأسباب . إن احترامه وتقديره وثقته  
بأبي ذر كانت حائلاً قوياً لا يقاوم دون طلب ذكر الأسباب ،  
بل جعلته يلتزم بالوقوف عند الحد الذي أراده شيخ غفاراليوم ،  
واستجاب معاوية للطلب مع تعديل بسيط .

أما إني لا أقول ليس لله ، ولكني سأقول مال المسلمين .

وانتهت هذه المقابلة الرائعة العظيمة التي أثبتت لنا أن  
الأمير الحقيقي هو أبو ذر الغفاري وأن المكلف بالسمع والطاعة  
هو معاوية .

وعض ابن السوداء انمله من الغيظ . فلقد تحطم الأمل الأول  
الذي يدغدغ أحلامه في بث الفتنة . فلقد وجد الوعي عميقاً  
لدى أبي ذر . فمضى لصحابي آخر معروف في زهده وتقواه  
وورعه هو عبادة بن الصامت ، وهو أديب القادسية العظيم الذي  
تحدى كسرى الفرس بكلماته النارية الخالدة .

جاء ابن السوداء اليه بهذا النغم الجديد .

جاءه بعد أن مضى الى أبي الدرداء صاحب رسول الله ﷺ  
والراوي الأمين لحديثه . فوضع إصبع الاتهام القوية عليه  
وقال له :

من أنت ؟ أظنك والله يهودياً .

فاختفى في الظلام كالحفّاش عندما سلط عليه أبو الدرداء  
الأضواء . وارتاع من أبي ذر وأبي الدرداء ، فمضى الى عبادة بن  
الصامت الذي ذكرناه آنفاً ، فإذا بعبادة الذي أدخل الهلع في  
قلب الوثنية الفارسية يبرز من جديد البطل العظيم الذي يمسك  
بخنّاق ابن السوداء ويدينه بعد أن يقدمه لمعاوية قائلاً :

— هذا والله الذي بعث إليك أبا ذر .

لقد قبض على ابن السوداء بعد الإدانة ، وهو يث هذه  
الفكرة ، وكانت المؤامرة اليهودية في الشام إذن واضحة ،  
وواضحة جداً لا تحتاج الى بحث وتنقيب .

فابن السوداء هو الذي يحركها ويشعل فتيلها وينفخ رمادها .

ويصمت التاريخ هنا حيث يطوي عن أسماعنا بقية حلقات  
المؤامرة في الشام . إنه يترك ابن السوداء في مجاهلها . ويعود إلى  
العلم العظيم أبي ذر ودعوته ، ويتابع السري عن شعيب عن  
سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي روايته :

« وقام أبو ذر بالشام وجعل يقول :

يا معشر الأغنياء ، واسوا الفقراء . بشر الذين يكتزون  
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار تكوى بها  
جباههم وجنوبهم وظهورهم . فما زال حتى ولع الفقراء بمثل

ذلك وأوجبه على الأغنياء حتى شكا الأغنياء ما يلقون  
من الناس .. »

ولا بد لنا قبل الحديث عن الكتاب أن نشير الى ملاحظتين  
هامتين :

**أولاهما :** أن أبا ذر لم يغير دعوته ولم يأتِ بجديد في ندائه في  
زمن عثمان بن عفان عن زمن عمر بن الخطاب . فلقد  
وضع على عاتقه أن يدعو الناس الى أن يستخدموا  
المال في سبيل الله ، لا أن يستخدموا المال في سبيل  
الشيطان . دعوته كررها في كل مراحل حياته دون  
أن يقف أو يتراجع أو تنال الدنيا ومغرياتها من  
نفسه شيئاً .

**وثانيهما :** أن الذي جد في الموضوع زمن معاوية وعثمان هو أثر  
جديد للدعوة ظهرت في شكل تيار عنيف ، فرض  
فيه الفقراء على الأغنياء حقاً لازماً من إنفاق ما لهم كله .  
فما الذي جعل لهذه الدعوة هذه الصورة الجديدة ؟

إننا إذا ربطنا بين المقدمات والنتائج نستطيع أن ندرك  
تماماً سبب هذا التيار الجديد الذي يريد أن يجعل من كسب  
الآخرين حقاً للعاطلين .

سبب ذلك بالتأكيد هو الاسلوب الثاني الذي لجأت اليه  
اليهودية آنذاك في الخفاء ، في تحوير كلام أبي ذر وتوجيهه .

فبعد أن خسرت ورقتها في الاتصال المباشر مع أبي ذر وتبينه لها ، راحت توجه كلماته وتعطي لها المدلول الذي تريده أن تحول الحرب في سبيل العقيدة على أقاصي الثغور الى حرب في الداخل في سبيل المادة والمال ما أمكنها ذلك .

ولهذا وجدنا أن النداء عندما ارتفع الى الجهاد في سبيل الله ، انكفأت هذه الدعوة وأخفقت ، فلقد مضى الجيش الإسلامي وعلى رأسه أبو ذر رضي الله عنه وأبو الدرداء وعبادة بن الصامت ، والعديد من أصحاب رسول الله عليهم الصلاة والسلام بقيادة عبد الله بن قيس حليف بني فزارة ، وكان النصر المظفر في قبرص في المعركة البحرية التي دارت بين الروم والمسلمين .

وما أن ألقى الجيش الإسلامي المنتصر بجرانه من جديد ، حتى عادت اليهودية تنفخ من خلال الرماد في وميض النار لتشعل أوار المعركة الداخلية من أجل المادة لتجعل الإسلام رسالة للمال فقط ، وتحور الأنظار من فكرة العبودية الخالصة لله الى عبودية الدرهم والدينار .

لاحظ معاوية بن أبي سفيان أن هذا التيار قد أصبح عنيفاً قد يكتسح الخلافة كلها . فلم يكن عجباً أن يحكم على ظاهر الأحداث ويربط بين دعوة أبي ذر ومطالبة الفقراء أن يكون لهم مال الأغنياء دون سغب ولا تعب ولا جهد .

فأطلع عثمان على الأمر بجلاء ، ورفع له أمر أخيه أبي ذر  
بعد أن عجز هو عن ثني أبي ذر عن عزيمته ودعوته .

فكان ذلك الكتاب الذي بعث به الى عثمان . ورد عثمان  
أمير المؤمنين عليه الذي سنعود اليه فيما بعد .

هذه هي حقيقة الصورة التي أورها لنا التاريخ بجلاء  
ووضوح بين الصحابين معاوية وأبي ذر رضي الله عنها .

وحق نحدد بشكل أدق وأوضح هذه الصورة ، ننقل ما  
رواه لنا شيخ المحدثين البخاري رضي الله عنه عن زيد بن  
وهب ، قوله :

مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر فقلت : ما أتراك منزلك  
هذا ؟ قال : كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في « الدين  
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله . فقال معاوية :  
نزلت في أهل الكتاب . فقلت : نزلت فينا وفيهم . وكان بيني  
وبينه في ذلك ... »

هذه هي الجريمة الضخمة والمشكلة المعقدة والشقاق الهائل  
الذي وقع في الشام بين أبي ذر ومعاوية ، كما لخصه أبو ذر  
بكلمتين :

فاختلفت أنا ومعاوية ..



بعد هذه الصحبة الممتعة مع شيخ الرواة والمحدثين البخاري،  
وشيوخ المؤرخين الطبري، نعود لنقف أمام تلك الصورة  
الشوهاء التي اختارها علي ناصر الدين من خلال رواية أبي عثمان  
الجاحظ في كتابه « السفىانية » :

« فضاى به معاوية ذرعاً وأمر يوماً أن يدخلوه عليه فقال له :

— يا عدو الله وعدو رسوله ، تأتينا كل يوم فتقول ما تقول،  
أما إني لو كنت قاتلاً رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير  
المؤمنين عثمان لقتلتك .

فأجابه أبو ذر بلهجة المتميزة بالقوة والهدوء :

— ما أنا بعدو الله ولرسوله ، بل أنت وأبوك عدوان لله  
ولرسوله ، أظهرتما الإسلام نفاقاً وأبطنتما الكفر . »

— ولا نريد أن نكرر تمة تلك الرواية الغريبة العجيبة ، التي  
يقذف بها أبا ذر معاوية بالكفر واللعنة والنار . لأن الخط واحد  
لا يختلف ولا يتغير . فهي على ذمة أديبنا الكبير أبي عثمان  
الجاحظ . وتلقاها عنه أدباؤنا الصغار ، ناصر الدين ، والعيسى ،  
والسحرار .

أىبلغ حد التهاثر بين أبي ذر وعثمان مستوى صبية الطريق.

تبلغ السبة أبا ذر من معاوية فيلاقيه بأقوى منها وأشدّ بشتيمة  
تبرئه من دينه وإسلامه ؟؟؟

وهل كان عليه الصلاة والسلام ساذجاً إلى هذا الحد ، أن  
تطلي عليه حيلة أبي سفيان ومعاوية في إبطانها الكفر ، حتى  
يضع معاوية كاتباً للوحي ؟

كيف يؤمن من يكتب كتاب الله على روايته ، وهو كافر  
في حقيقته ومسلم في ظاهره ؟

وكيف يستمر هذا الكافر طيلة عهد الشيخين أبي بكر  
وعمر دون أن يكشف أمره ويعرف كفره ، وهو الوالي  
الموثوق على الشام دون نزاع ؟

عجيب أمر هؤلاء الرواة والكتاب والأدباء ، يحسبون أن  
صحابة رسول الله ﷺ من مستواهم تماماً .

إنهم بكل أسف قد تصل ببعضهم القحة أحياناً أن يعتبر  
نفسه أعلى في المستوى الأخلاقي منهم حين يرى هذه الشتائم .

فهم يكتبون ويعجبون من هذه المستويات من السباب .  
ويبتسمون لكعبهم العالي في الأخلاق والشرف وتمام الأخلاق .

يا هؤلاء !

تحدثوا عن زعماء فرنسا وثور افريقيا ومجاهدي غواتيمالا .

تحدثوا عن فرسان الروم وبطولة العجم وزهد بوذا وشيوعية الروس واطر كونا ، اتركوا لنا تاريخنا ، وأشخاصنا وقادتنا ، اتركوا أصحاب رسول الله ﷺ جانباً ونحن لكم من الشاكرين.

إنكم إن تحدثتم عن كل ما دعوناكم لكتابة تاريخهم فهم بشر لم تمسهم يد الله ورسالته . هم مثلكم عقيدتهم من طينة الأرض ورغامها ، فسرعان ما تكتشفونهم من خلال نفسياتكم . أما أولئك الأصحاب فقد صاغتهم يد الرحمن ، ورباهم محمد رسول الله الذي يستصرخكم بقوله :

« دعوا لي أصحابي فلو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهباً ما بلغ من أحدهم ولا نصيفه » .

بقي عندنا بعد ذلك حديث العودة إلى المدينة ، والكتب المتبادلة بين معاوية أمير الشام وعثمان أمير المؤمنين .

### قتب في مجاهل البيد

ولنعد للعيسى في وصفه رحلة أبي ذر للمدينة

قتب في مجاهل البيد يهوى عن كتيب ويختفي في كتيب  
الهبته السياط زجراً وحثاً بالشوط على السياط رهيب

حرس الموت حوله ينهبون الـ كلما أجت الرمال سعيراً  
قفر غلف الشفاه ، غلف القلوب أوسعوا الخطو في السعير المذيب  
من على الرحل يطعم الخشب الذـ اتىء من لحمه لهاه الدروب  
ويعض الحديد ساقيه حتى تستحيلا إلى دمٍ وندوب  
من على الرحل؟ كتلة من عظام وعروق لولا بقايا وجيب  
قتب في مجاهل البيد سارٍ بحطام حي بشيخ مهيب ، .  
يسفح الرمل وجهه فيواربه إباء بمثل وجهه الطروب

ما أروع من تعبير ، وما أحرها من عاطفة هذا التحسس  
العميق لمشاعر أبي ذر الغفاري ، هذا الوصف الدقيق لأشد ما  
يلاقيه الثائر العظيم من عنت وارهاق في سبيل فكرته من  
الطغاة المتسلطين .

أصب الحديد فوق فمي إن قلت هذه أشلاء حقٍ سليب  
أفنقضي على أنين اليتامى والأيامى والعائل المحروب .  
خلق الدين خفقة في قلوب الناس فانظره دفقة في الجيوب  
وتحز الرؤوس حزاً لتحظى هامة وحدها بظلٍ رطيب ، .

رؤوس أصحاب رسول الله ﷺ حزت وابيدت في المعامع  
والحروب حتى تحظى هامة عثمان وحدها وتحت جناحها هامة  
معاوية بظلٍ رطيب ، وندى سكوب ، ونعمة أثيرة  
و.. بشهادة الشاعر الكبير سليمان

ويتحفنا السحار بقوله :

« بلغ كتاب أمير المؤمنين معاوية ، فحمل ابي ذر على  
بغير عليه قتب يابس ومعه خمسة من الصقالبة ، يطيطرون به ،  
ولا يدعون له يستريح في الطريق حتى تسلخت بواطن أفخاذه  
وكاد يتلف ، واصابه كرب شديد ، فاطرق وقد رسم على  
محياء الألم ، وحز في نفسه أن يلقي كل هذا البلاء لأنه يدعو إلى  
المعروف . . . »

وكنا نربأ بالاستاذ السحار من أن ينزلق إلى هذا المنحدر  
دون تحقيق أو تمحيص ، خاصة ، والمعروف عنه أنه ذو  
صبغة اسلامية تدل على ذلك مواضعه وكتاباتة . وهو الثقة  
العلم في عالم الأدب . والذي كثيراً ما يضع نصب عينيه  
الآية الكريمة أو الحديث النبوي ليكون غاية عمله الادبي ومحور  
قصصه وكتابته .

أما ناصر الدين ، فيريد أن يؤكد أنه أقدر من السحار في  
الوصف فقال : ما أن بلغ كتاب الخليفة عثمان إلى معاوية حتى  
اسرع في الحال إلى نفي ابي ذر للمدينة بعد أن كان نفاه عثمان  
من المدينة إلى الشام . وقد عامل الذين رافقوا أبا ذر  
« يخفرونه » إلى المدينة معاملة ملؤها القسوة والحقد والحقارة ،  
مع أنهم داخلون في الفئات التي يدافع ابو ذر عن حقوقها ،  
ويشقى في سبيل اسعادها ، وقد يخفف من وقع هذه المعاملة  
على الأنفس - إن يكن هناك ما يخفف هذا الواقع - أن  
الخمس الذين رافقوا أبا ذر « يخفرونه » لم يكونوا عرباً وكانوا

من الصقالبة ، وقد حز في نفس أبي ذر ، وعصر قلبه ألماً  
أن يلقى كل هذا البلاء ، ليس إلا لأنه يدعو إلى الحق والخير.. »

والمصدر التاريخي الذي اعتمده هؤلاء الكتاب وعلى  
رأسهم ، قدرى قلعجي في كتابه عن أبي ذر . وإذ هو أقدم  
من كتب عنه .

هو الرواية السابقة . رواية الجاحظ في السفيانية والتي  
أوردها ابن أبي الحديد .

« وكتب إلى عثمان فيه . فكتب عثمان إلى معاوية :

أن احمل جندباً إلى على اغلظ مركب وأوعره

فوجه به مع من سار الليل والنهار وحمله على شاربٍ  
ليس عليها الا قتب حتى قدم به المدينة ، وقد سقط لحم  
فخذه من الجهد . »

لنعد بعد ذلك إلى شيخ المحدثين الطبري ، وإلى اوثق اسناده  
السري عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي : (١)

« فكتب إليه عثمان :

إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها فلم يبق إلا أن

---

(١) الجزء الثالث ص ٣٣٥ وص ٣٣٦ . ط . القاهرة سنة ١٩٣٩

تتب فلا تنكأ القرح وجهز ابا ذر إلي وابعث معه دليلاً وزوده  
وارفق به .

وكفكف الناس ونفسك ما استطعت فإنما تمسك ما  
استمسكت فبعث بأبي ذرٍ ومعه دليل .

ولندع الآن شيخ المؤرخين ، ونستمع إلى رواية شيخ  
المحدثين ، إلى رواية البخاري عن زيد بن وهب ، وهي تنمة  
الرواية السابقة :

— فمكثت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في « والذين  
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » .  
فقال معاوية :

نزلت في أهل الكتاب . فقلت : نزلت فينا وفيهم . وكان  
بيني وبينه في ذلك فكتب إليَّ عثمان أن أقدم . فقدمتها فكثر  
علي الناس حتى كأنهم لم يروني .

فنحن نرى كما يبدو ملخصاً لرحلته التي ذاق بها الأهوال  
والحديد والموت نجد ملخصاً في كلمتين .

في رواية الطبري : فبعث بأبي ذرٍ ومعه دليل .

وفي رواية البخاري : فكتب إليَّ عثمان ان اقدم فقدمتها .

هذه هي قصة الصقالبة ، وضرب الأفخاذ ، وعض الحديد ،  
وانزال الموت .

وقد يحلو لقائل أن يقول :

ان هاتين الكلمتين في الروایتين السابقتين . لا تنفيان وجود  
هذا التعذيب .

نعم انها لا ينفيان ذلك بلفظ النص . لكن مفهومه وروحه  
ينفي النفي القاطع وجود مثل هذا التعذيب الوحشي الذي  
ذكره كتابنا المذكورون . اذ لو وجد هذا الايذاء والتنكيل  
لتعرض له ابو ذر رضوان الله عليه . إن لم يكن تصريحاً ،  
فتميحاً على الاقل او تلويحاً على اقل تقدير ولو من بعيد .

سبحانك ربي هذا بهتان عظيم .

ولا أرى بداً من اثبات النصين المتبادلين بين معاوية وعثمان  
كاملين كما وردا لدى الطبري <sup>(١)</sup> ، وفي كتاب أعيان الشيعة <sup>(٢)</sup> .

**الطبري :**

« فكتب معاوية إلى عثمان :

---

(١) الرواية السابقة عن يزيد الفقمسي .

(٢) أعيان الشيعة الجزء ٢٢ ص ٤٣ - ٤٦ .



إن أبا ذر قد أعضل بي ، وقد كان من أمره كيت وكيت .

فكتب إليه عثمان :

إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها فلم يبق إلا أن تثب  
فلا تنكأ القرع ، وجهر أبا ذر وأبعث معه دليلاً وزوده وارفق  
به ، وكفكف الناس ونفسك ما استطعت فإنما تمسك ما  
استمسكت . «

أعيان الشيعة :

« وانقلب معاوية إلى بيته بعد الصلاة وهو يكاد يتميز غيظاً  
فكتب إلى عثمان :

إن أبا ذر يصبح إذا أصبح ويمسي إذا أمسى وجماعة من  
الناس كثيرة عنده ، وقد ضيق عليّ وأعضل بي . ولا آمن أن  
يفسدهم عليك . فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله ، فإنه قد  
صرف قلوب أهل الشام عنك ، وبغضهم بك ، وهم لا يستفتون  
غيره ولا يقضي بينهم إلا هو .

فأجابه عثمان : إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها ،  
ولم يبق إلا أن تثب فلا تنكأ الجرح ، إحمل أبا ذر على أغلظ  
مركب وأوعره ، ثم ابعث به من ينخش به نخشاً عنيفاً حتى  
يقدم به علي ، وكفكف الناس ونفسك ما استطعت فإنما تمسك  
ما استمسكت . «

فتنفس معاوية الصعداء ونهض لفوره فوجه أبا ذر إلى المدينة  
مع خمسة من الصقالبة على قتب بلا وطاء فتجهر نفر من الناس  
حوله يريدون إن يمنعه ويردوه فخطبهم فقال .... »

## مستأنف

### أ م ط ر يد

وندع للقارىء إن يحكم من خلال النصوص ، على طبيعة  
العلاقة بين صحابة رسول الله ، والمستوى الذي يتناسب ومقامهم  
الرفيع ، والافق العظيم الذي يعيشون فيه دونما تحيز  
أو انحراف .

أنا في حيرة من أمر كعب الأحبار هذا ، فلقد كان  
جليس الخلفاء .

فهو جليس عمر بن الخطاب رضوان الله عليه كما كان جليس  
عثمان رضي الله عنه .

غير أن إشارات استفهام كبيرة تحوم حوله . فهو متزي  
لبوس الاسلام إلا أنه كان حبراً من أحبار بني اسرائيل  
ولا شك .

وكان يرجع إليه في معرفة أخبار التوراة والانجيل الوارد  
في معانيها آيات قرآنية محكمة .

ولقد ذكرت من قبل اصبع الاتهام الكبيرة التي وجهت إليه في مقتل عمر عندما طلب منه أن يوصي لأنه ميت بعد ثلاث ، زاعماً أن يوم وفاة ابن الخطاب قد حدثت في كتاب الله التوراة .

وسنحاول أن نصل ذلك الخيط الذي انقطع من عهد عمر . بما برز له من آراء على عهد عثمان ، كانت حاسمة في المسرح السياسي آنذاك .

ويهمنا أن نتابع تسلسل الحوادث بالاضافة إلى تحري النقطة الجوهرية المذكورة المتعلقة باليهودية .

سنترك خيال الاديب الحر النزيه ، وحرصه على بناء تاريخ امته من مكر المضللين والمستشرقين والدجالين يحدثنا عن لقاء ابي ذر وعثمان بعد عودة سيد غفار من الشام بتجرد وأمانة واخلاص .

وخبا البرق قبضة الجند أقوى وهوى السوط دامياً من جديد  
جئت لامر حباً ولاقرب الله مزاراً لمفسدٍ في الوجود  
أو ما تنتهي عن الغي والاثم وحشد الأذى وزرع الحقود .

جئت لامر حباً ولاقرب الله مزاراً لكل عاص ، جحود  
يا بن عفان ليس مما يزين ال سحب ألا تجيد غير الوعود  
إنما الآتون من حملوا ال عهد فخانوا ولم يفوا بالعهد  
قد نصحناك لو سمعت فال ويت وهذي الحدود غير الحدود

ونجد انفسنا مضطرين للاستماع للسحار وهو ينقل لنا هذه  
المقابلة كما يتخيرها من الروايات الضعيفة كي تحافظ القصة  
لديه على عنصر التشويق والإثارة (١).

« ودخل ابو ذر على عثمان وكان عنده علي وبعض المسلمين .  
فلما رآه عثمان قال :

- لا انعم الله بك عينا يا جندب .
- أنا جندب وسماني رسول الله عبد الله .
- ما لاهل الشام يشكون ذرب لسانك ؟
- لقد كنز الناس فبشرتهم بمكاوٍ من نار .
- أنت الذي تزعم أنا نقول أن يد الله مغلولة ، وأن  
الله فقير ونحن أغنياء ؟
- لو كنتم لا تزعمون لأنفقتم مال الله على عباده نصحتك  
فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشني .
- كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها قد انفلت الشام علينا .
- اتبع سنة صاحبك لا يكون لأحد عليك كلام .
- ما لك وذلك ؟ لا أم لك .

---

(١) الاشتراكي الزاهد - الطبعة الثانية ص ١٤٨

— والله ما وجدت في عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فظهر الغضب في وجه عثمان وقال :

أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذاب ، إما أن أضربه أو اقتله فإنه قد فرق جماعة المسلمين أو انفيه من ارض الاسلام .

فقال علي : أشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون ، فإن يك كاذباً فعليه كذبه ، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم .  
إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب .

إني لأعجب من السحار حين يختار باسم الفن القصصي مثل هذه الروايات . فهي بعيدة في الواقع أشد البعد عن التحليل النفسي لشخصية عثمان الذي اشتهر بحلمه وحيائه ولطفه .

فكيف يظهره لنا في هذا المقطع شخصاً سريع الغضب ، ذرب اللسان ، متسرع الحكم مع أن هذا يتنافى لابعد الحدود مع طبيعة عثمان وسمته لقد كان الاولى بالسحار سيان اختار أو تخيل أن يأتي بما يتناسق وطبيعة الاشخاص بصفته أديباً بارعاً يفقه حقائق النفوس وطبائع الأشخاص .

ونجد ناصر الدين يتقمص معظم المواقف والآراء والصور التي يتبناها السحار فيحدثنا عن هذه المقابلة بقوله :

« وبلغ المركب المدينة وأدخل أبو ذر على عثمان ، وكان في

مجلسه علي ، ومعه نفر من خيار المسلمين . فأساء عثمان استقباله  
وقال له :

ما لأهل الشام يتدمرون منك ويشكون تدخلك فيما لا  
يعنيك من شؤونهم .

قال أبو ذر : ليس في الشام من يشكوني ويتذمر مني إلا  
أن يكون عاملك وابن عمك معاوية وصحبه الذين يكتزون  
الذهب والفضة ، ويحتكرون أرزاق الناس ، ويعيدون انشاء  
طبقة « أرستقراطية » تجور على سواء الشعب ، وتعبث  
بحقوق الفقراء والضعفاء ، وقد انكرت هذا على معاوية  
وصحبه ومن اليهم من أعوانه من الاغنياء واصحاب الحظوة  
فإن هؤلاء جميعاً يتعاونون على الباطل ويتكبون سبيل الحق .

فقاطعه عثمان وصرخ فيه : كذاب .

فقال ابو ذر بهدوء الصادق الجريء المطمئن .

لقد علمت انني لا أكذب وانني ما كذبت قط .

وتحول عثمان إلى شهود مجلسه وقال : أشيروا عليّ في هذا  
الشيخ الكذاب أقتله أو أنفيه من أرض الإسلام .

فقال له علي : أشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون ، فإن  
يك كاذباً فعليه كذبه ، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي  
يعدكم . إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب .

على أني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق  
من أبي ذر .

فغضب عثمان وقامت بينه وبين علي مشادة عنيفة . ولكن  
علياً ما كان ليبالى بأمر مهما يكن حينما يقول ويعمل في سبيل  
الحق . ومتى يعمل علي أو يقول في غير سبيل الحق . فسكت  
عثمان على مضض ، ولكنه حظر بعدها على الناس أن يكلموا  
أبا ذر أو يجالسوه ، وهدد بالعقاب من يستفتيه . ولكن الناس  
ازدادوا التفافاً حول أبي ذر واقبالاً على استفتائه والعمل  
بفتاويه . «

أما مصدر كاتبينا فهو الواقدي كما ورد في اعيان الشيعة <sup>(١)</sup>

روى الواقدي بأسناده عن صهبان مولى الأسلميين قال :

رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان ، فقال له : انت الذي  
فعلت وفعلت ، فقال أبو ذر : نصحتك فاستغششتني ونصحت  
صاحبك فاستغشني .

قال عثمان : كذبت ولكنك تريد الفتنة قد انفلت  
الشام علينا .

---

(١) الجزء ٢٢ ، ص ٥٠٨ - ٥٠٩ .

فقال ابو ذر: اتبع سنة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام

فقال عثمان : ما لك وذلك لا أم لك .

فقال ابو ذر : والله ما وجدت لي عذراً الا الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر .

فغضب عليه عثمان وقال: اشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب  
إما أن اضربه أو احبسه فإنه قد فرق جماعة المسلمين اذاً نفيته  
من ارض الإسلام .

فتكلم علي عليه السلام وكان حاضراً فقال :

اشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون ، فإن يك كاذباً فعليه  
كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي  
من هو مسرف كذاب .

فأجابه عثمان بجواب غليظ ، واجابه علي عليه السلام بمثله .  
ولم تذكر الجوابين تذبذباً منها .

وفي الوقت الذي يقف فيه معظم نقاد الحديث من الواقدي  
موقف التجريح لعدم تحريه الأخبار ، حتى ليصل النقد الموجه له  
أنه كان يروي المناكير من الاحاديث دون أن يعود بها إلى السند



القوي كما يبدو من خلال القصة التالية <sup>(١)</sup> :

إبن فهم - تلميذه ( تلميذ محمد بن سعد صاحب الطبقات ) -  
كان مرة عند مصعب الزبيري فمر بهم يحيى بن معين ، فقال له  
مصعب : يا أبا زكريا ، حدثنا محمد بن سعد الكاتب بكذا وكذا .  
فقال له يحيى : كذب . وقد اعتذر عنه الخطيب بأن تلك  
الاحاديث التي أنكرها يحيى ربما كانت من المناكير التي يرويها  
الواقدي ، أي أنه ألقى اللوم على أستاذه أيضاً . ومن أجل هذه  
القصة فيما يبدو . قال ابن تغري بردي : وثقه جميع الحفاظ ما  
عدا يحيى بن معين .

فنحن نرى إذن أن الوهن تطرق لابن سعد من استاذ  
الواقدي الذي كان يروي المناكير دون تحرر أو استقصاء .

والواقدي كما ينظر اليه الناقدون على أنه محدث وإخباري .  
والإخباري كما فسرهُ السمعاني بقوله :

ويقال لمن يروي الحكايات والقصص والنوادر الإخباري

ويعلق الاستاذ فتحي عثمان إيضاحاً لذلك بقوله <sup>(٢)</sup> :

---

(١) أضواء على التاريخ الاسلامي للاستاذ فتحي عثمان ص ٥٥ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ، الجزء الاول ص ٧ .

« فإذا رأى الإخباريون في الوقائع الثابتة ما يغذي العاطفة قالوه وإذا لم يجدوه اخترعوه . وقد يكون أساس الحادثة صحيحاً ، ولكنه ليس يستخرج أقصى العجب فيكملوه من خيالهم ، ويتزيدوا فيه من أوهامهم ويصقلوه بالأسلوب اللطيف حتى يخرج الخبر كله كأنه صحيح » .

وهذا هو بكل أسف موقف كتّابنا اليوم من حكايات التاريخ .

نحن لا ننكر لأحد من صحابة رسول الله ﷺ فضله ، ولكل مواهبه وطاقاته وعبقريته ، غير أن حبنا لواحد لا يدفعنا لبغض الآخر . إعتقادنا أن المستوى الذي يعيشون فيه واحد . وظهور خطأ من صحابي لا يدفعنا إلى اتهامه بسوء النية وفساد الطوية . بل نتحدث عنهم بالمستوى الرفيع الذي كانوا يعيشون فيه لأنهم جميعاً صياغة النبوة . وما كان للبد النبوية الكريمة طاهرة أن تزيل جاهلية امرئ لأنه قريب وأهل بيت دون الآخر لأنه من فرع غير الفرع الهاشمي ، وإلا لكان الإسلام رسالة أشخاص لا رسالة عالمين .

ومهما بلغت درجة الخلاف بينهم ، فلن يؤدي ذلك لفقدان الثقة في أي منهم أو التشكيك في إيمانه وحقيقة إسلامه .

نعود بعد هذا التنويه البسيط للوقوف أمام رواية الطبري

عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي ، فنقتطف منها ما يناسب الموضوع ، متابعين ما انقطعنا عنه في الحديث السابق :

« ... فبعث بأبي ذر ومعه دليل . فلما قدم المدينة ورأى المجالس في اصل سلع قال : بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكارة . ودخل على عثمان فقال : يا أبا ذر ما لأهل الشام يشكون ذربك ؟ . فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال مال الله ، ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا .

**فقال :** يا أبا ذر علي أن أقضي ما علي وآخذ ما على الرعية ، ولا أجبرهم على الزهد وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد . ، وهكذا فنحن لا نجد في النص حديثاً عن الشيخ الكذاب ، والحيرة في قتله أو نفيه أو طرده . والمشادة العنيفة التي جرت بين علي وعثمان حتى ليتورع الواقدي – تعففاً وكرم خلق – عن ذكرها .

كما لا نرى منع الناس عن مكالمة أبي ذر والحديث معه وإنزال العقوبة بمن يكلمه .

إنما ننقل لنا استفساراً وإيضاحاً حول الآراء التي يدعو إليها سيد غفار رضوان الله عليه . وأبو ذر بصفته الجندي الأمين الملتزم ينقل سبب الخلاف للمرجع الأعلى في الدولة .

لعثمان أمير المؤمنين - بينه وبين معاوية كما قال أبو ذر نفسه في  
رواية البخاري عن زيد بن وهب :

« ... فكتب إليَّ عثمان أن أقدم . فقدمتها فكثر علي  
الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان ... »

ونجد الخليفة العظيم ذي النورين يوضح للمجاهد العظيم أبعد  
مدى يستطيع أن يتدخل فيه بشؤون الناس وأحوالهم . فهناك  
يجتمع يجب أن يبنى ، ومصالح يجب أن تسيّر . وما لم يجمع  
الناس مالا فلن تقوم تجارة أو يرتفع بناء أو ينهض مصنع أو  
تشتري عين .

الفاعلية الاقتصادية يجب أن تعمل وتشتغل لكن لا على  
حساب الفقراء والمعوزين والمحتاجين . إن حقوق المحتاجين  
والمقعدن والعاطلين عن العمل ( دون أن تتمكن الدولة من  
تشغيلهم ) محفوظة في بيت المال وهو مسؤول عن كل فرد في  
أقصى بلاد المسلمين مهما كان جنسه ولونه ودينه .

إن له أن يملك الحد الأدنى اللائق به كإنسان كريم من  
العيشة والسكن والغذاء واللباس . هذا لا مرأى فيه .

أما أن يفرض على الناس حد معين ثابت من المعيشة ، فهذا  
ما لا ترضاه سياسة الدولة القائمة .

فعثمان يقول : علي أن أقضي ما علي وآخذ ما علي الرعية .

فعلى الدولة حقوق لا يقوم بها أحد غيرها . وعلى الرعية حقوق كاملة لا بد من تأديتها .

هذه العملية التي تحقق المستوى اللائق للإنسان المواطن في الدولة المسلمة . أن تقوم الدولة بواجبها في الرعاية والحماية والعناية . وأن تأخذ ما علي الرعية من حق ، وما يترتب عليهم من واجبات تجاه الآخرين بحيث لا يقوم ظلم أو تعسف أو جور . فلا ضرر ولا ضرار . لا إفراط أو تفريط ، بل التوازن القائم دائماً بين الطرفين .

ويقول عثمان كذلك : ولا أجبرهم على الزهد !

فأن تفرض الدولة الحد الأدنى من المعيشة على جميع الناس بأن توزع عليهم أرغفة الخبز بالتساوي والمساكن بالتساوي والملابس بالتساوي ، فكيف إذا اختلف الجهد واختلف العمل ، واختلف الإنتاج ، واختلفت الهمم . كيف يعطى هؤلاء الناس بنسبة أقل منتج ، وأقل عامل ، وأقل مجتهد ، وأقل همه . إنه لعمر الحق الظلم بعينه .

فالدولة إذن لن تجبر الناس على الزهد طالما أن بالإمكان عملاً أكثر وإنتاجاً أضخم . فلكلِّ حسب عمله ، ولكلِّ

حسب حاجته . لا بد من أن يجتمع هذان العنصران حتى يتحقق العدل الشامل للجميع .

والمرحلة الأخيرة من السياسة المالية لعثمان قوله :

وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد .

كلمتان عظيمتان مرتبطتان معاً . الاجتهاد في العمل ، والاقتصاد في المصاريف . فاهمة المقعدة تدعي إلى الاجتهاد أكثر وأكثر حتى تبلغ شأو سابقتها . والمنفق المسرف يدعى إلى الاقتصاد في الإنفاق ما أمكن حتى يشعر بشعور المحتاجين والفقراء حتى تتقارب النفوس ويزول التفاوت .

وهي الطريقة التي يؤمن بها الإسلام في تطبيق منهجه في الاقتصاد ، ومن أجل ذلك وجدنا أبا ذر رضوان الله عليه يصمت أمام هذا الرأي الذي أبداه عثمان ، وإن كانت نفسه التقية النقية من الدنيا ، الطاهرة من المادة ورغامها لا يمكن أن تتحمل إلا أن تكون جميع النفوس بمستواها ، وأن ترتفع كلها عن مستوى النفع والمادة والسعي الحثيث وراء الدنيا .

إنه وهو لا يتمكن من ذلك ، لا يرضى بنفس الوقت أن يجبر الناس على ما هو عليه ، ويعيد إلى ذاكرته تلك اللحظة التي ذكره بها قائده عليه الصلاة والسلام أن يغادر المدينة حين يرى البناء قد بلغ سلماً .

فيتفاهم وعثمان على ما تذكر وهو ما سنستعرضه في الصفحات  
القادمة .

تتراحم الآراء هنا وتتواثب لتجعل من أبي ذر منفياً للربذة  
ومطروداً من المدينة بحكم ضعف عثمان رضي الله عنه وتأثير  
أنصاره وخوفه على مصالحهم . هذا من أراد أن يحسن الظن  
بعثمان . أما المفاهيم العامة لدى الناس فيشركون ابن عفان في  
القضية ، ويجعلونه المسؤول الأول عن نفيه وطرده كي يحافظ  
على سياسته الرأسمالية ، ويثبت حكمه الرجعي المستبد .

ومن حجب الظلام المتكاثفة وضباب الأساطير المصطنعة ،  
وغيوم الحقد الأسود نستطيع أن نتبين النور الواضح والحقيقة  
الجليلة .

أما حجب الظلام ، وضباب الأساطير ، وغيوم الحقد ، فهي  
التي ينقلها لنا السحار في كتابه ص ١٥٢ - ١٥٣ .

« ما أكثر أذاك لي ، دار عني وجهك .

— أسير إلى مكة ؟

— لا والله !

— فتمنعي من بيت ربي أعبد فيه حتى أموت ؟

— إي والله !

– فألى الشام ؟

– لا والله !

– البصرة ؟

– لا والله ، فاختر غير هذه البلدان .

– لا والله ، ما أختار غير ما ذكرت لك ولو تركتني في دار  
هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان . فسيّرني حيث شئت  
من البلدان .

– فأني مسيّرك إلى الربذة . «

ويتهبها ناصر الدين ليظهر عبقريته فيقول :

« ... فكبر الأمر على عثمان فلم يقو على احتماله ، وأعلن  
إرادته بإبعاد أبي ذر . فقال أبو ذر : إلى أين ؟ . قال : إلى  
حيث تشاء . قال أبو ذر : سأخرج إلى مكة . قال : لا . قال :  
فألى الشام . فقال عثمان : إنما جئت بك من الشام لأنقذها منك  
أفأردك إليها ؟ !

قال أبو ذر : إلى العراق . قال : لا . قال : فأذن إلى مصر .  
قال عثمان : ولا إلى مصر ؛ فاختر غير هذه البلدان . فقال  
أبو ذر وقد كاد يفقد صبره : والله إني لأعلم أن في نفسك مني  
لأمرأ ، ولست بتارك لي أن أختار ، فابعديني حيث تشاء .  
فقال عثمان : فأني مبعذك إلى البادية .



قال أبو ذر - ولعله قالها في شيء من الدعابة والمرارة - :  
فأصير بعد الهجرة أعرابياً ؟ .

أما مرجع هذه الرواية فهو المصدر نفسه : أعيان الشيعة<sup>(١)</sup>.

وأرى من المناسب أن أقدم الرواية كاملة مع سندها التاريخي لنتبين الأبعاد لمثل هذه الروايات المختلفة ، والإسفاف الذي تصل إليه .

« وفي تفسير علي بن ابراهيم أن أبا ذر رحمه الله دخل على عثمان ، وكان عليلاً متوكئاً على عصاه وبين يدي عثمان مائة ألف درهم قد حملت إليه من بعض النواحي ، وأصحابه حوله ينظرون إليه ويطمعون أن يقسمها فيهم . فقال أبو ذر لعثمان : ما هذا المال ؟

قال عثمان : مائة ألف درهم حملت إليّ من بعض النواحي ، أريد أن أضم إليها مثلها وأرى فيها رأيي . ثم التفت عثمان إلى من حوله فقال :

أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً ، فإذا أيسر قضى ؟ فقال أبو ذر : إنه لا يجوز . وقال كعب الأحبار : إنه

---

(١) أعيان الشيعة ص ٥٤ - ٥٥ ، الجزء ٢٢ .

لجائز . فصرخ أبو ذر ودفع عصاه في صدره ثم التفت إلى عثمان فقال له :

يا عثمان أيها أكثر ، مئة الف درهم أم أربعة دنانير ؟ . فقال : بل مائة الف درهم . فقال :

أما تذكر أنني أنا وأنت دخلنا على رسول الله عشاء فرأيناه كئيباً حزيناً ، فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام ببشره المعهود . فلما أصبحنا أتينا فرأيناه ضاحكاً مستبشراً فقلنا له : بآبائنا وأمهاتنا ، دخلنا عليك البارحة فرأيناك كئيباً حزيناً ، وعدنا اليك اليوم فرأيناك ضاحكاً مستبشراً . فقال : نعم ، كان قد بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسمتها .. خفت أن يدركني الموت وهي عندي ، وقد قسمتها اليوم فاسترحت .

فأين ما تقوله وأصحابك مما يقوله رسول الله ؟

فقال عثمان ، وقد احتدم غضبه : يا أبا ذر إنك شيخ خرفت وذهب عقلك ولولا صحبتك لرسول الله لقتلتك . «

وحتى هذه النقطة فقد أوعزت إلى مروج الذهب للمسعودي . ولنا على هذا القسم من الرواية بعض التعليق .

أولاً : المسعودي رحالة ومؤرخ ما في ذلك من شك ، وهو علامة كبير ومصدر هام من مصادر الثقافة العربية .

غير أن أقل ما يقال فيه أنه متشيع معتزلي . فيدخل فكره في شخصه ، ويجعلنا نقف موقف المتريث من كل رواياته .

**ثانياً :** ولو تركنا هذه النقطة جانباً فلا يمكن الركون إلى روايته لأنها مفتقرة إلى السند . ولا يمكن أن نحكم على صحة الرواية من خلال النص لأننا لا ندري مصدرها ورواتها .

**ثالثاً :** إن الذي يفهم نفسية الصحابة يستنكر بل ويستشنع هذه الصورة العجيبة عنهم . فلو أردنا أن نحكم على صحة الحادثة من خلال النص ، إذا افترضنا جدلاً صحته دون سند لوجدنا أنفسنا عاجزين عن ذلك تماماً . إذ كيف يمكن لعاقل أن يقبل هذه الصورة ؟

أبو ذر رضوان الله عليه يذكر عثمان بحديث رسول الله ، وعمله وسنته . فيجيبه عثمان غاضباً : يا أبا ذر إنك شيخ خرفت وذهب عقلك ولولا صحبتك لرسول الله لقتلتك .

هذا جواب لا يصدر عن معتوه فضلاً عن عاقل . ومتى كان الصحابي لديه هذه الجرأة على هذا الموقف من حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وعثمان خاصة ،

أحلم الناس وأشدّهم حياء . عثمان الذي تستحي منه  
ملائكة الرحمن ، كيف يمكن أن يتهم أبا ذر بالخرف  
ويهدده بالقتل لأنه ذكر أمامه حديث رسول الله عليه  
الصلاة والسلام .

وكيف يقبل مؤمن لديه أدنى ذرة من الايمان هذه  
الصورة النكرة البشعة لتحدي أوامر الله وسنة رسوله .  
متى كان ذلك يا منصفون ؟ قليلاً من الحياء يا منصفون !

رابعاً : وحتى هذا الجواب الأخير :

« إنك شيخ خرفت وذهب عقلك ، ولولا صحبتك  
لرسول الله لقتلتك » . لا نجده لدى المسعودي في حديثه  
عن أبي ذر (١) .

إذ كلما ورد في هذا الموضوع ، هو هذا القول :  
« فأحسن إليه عثمان في داره أياماً ، ثم دخل إليه فجلس  
على ركبته ، وتكلم بأشياء .

وذكر الخبر في ولد أبي العاص ...  
ورفض المسعودي أن يضع النص بكامله .  
أما حين نعود إلى تفسير علي بن ابراهيم ، فنجد تمة الخبر :

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ، الجزء الثاني ص ٣٤٠ ، طبعة دار الاندلس

« فقال عثمان : يا أبا ذر إنك شيخ خرفت وذهب عقلك ،  
ولولا صحبتك لرسول الله لقتلتك . فقال :

يا عثمان ، أخبرت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم ، فقال :

لا يفتنونك يا أبا ذر ولا يقتلونك . وأما عقلي فقد بقي منه  
ما أحفظ حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال : وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ .

قال : سمعته يقول :

إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً ، صيروا مال الله دولا ،  
وكتاب الله دخلاً ، وعباده خولاً ، والفاسقين حزباً ، والصالحين  
حرباً .

فقال عثمان : يا معشر أصحاب محمد ، هل سمع أحد منكم  
هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقالوا : لا . قال  
فجاء أمير المؤمنين ( أي علي بن أبي طالب ) فقال عثمان :

يا أبا الحسن أنظر ما يقول هذا الشيخ الكذاب .

فقال أمير المؤمنين : لا تقل كذاب ، فإني سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم يقول :

ما أظلت الخضراء ولا أقلت الخبراء أصدق لهجة من أبي در.

فقال أصحاب رسول الله ﷺ :

صدق أبو ذر ، سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فبكى أبو ذر عند ذلك . فقال عثمان :

يا أبا ذر بحق رسول الله إلا أخبرتني عن شيء أسألك عنه .

فقال أبو ذر : والله لو لم تسألني بحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أخبرتك . قال : أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها ؟

قال : مكة حرم الله وحرّم رسوله أعبد الله فيها حتى يأتيني الموت . فقال : لا ولا كرامة لك . فقال . المدينة . قال : لا ولا كرامة لك .

فسكت أبو ذر .

فقال عثمان : أي البلاد أبغض إليك تكون فيها ؟

فقال : الربذة التي كنت فيها على غير دين الإسلام . فقال عثمان : سر إليها . فقال أبو ذر : صدق الله ورسوله .

ولن نقف لنناقش هذا النص . فهو لم يرد بكتاب تاريخ حتى نمحصه إنما ورد بدون سند في كتاب من كتب التفسير .

كما نجد المسعودي يتبنى هذه الرواية حيث يقول (١) :

فقال له عثمان : وارِ عني وجهك . فقال : أسير إلى مكة .  
قال : لا والله . قال : فتمنعني من بيت ربي أعبدته فيه حتى  
أموت ؟ قال : إي والله . قال : فألى الشام . قال : لا والله .  
قال : البصرة ؟ . قال : لا والله ، فاختر غير هذه البلدان .

قال : لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك . ولو تركتني  
في دار هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان . قال : فأني مسيرك  
إلى الربذة .

ووردت هذه الرواية كذلك في كتاب من كتب الأدب ،  
وذلك في ( الأماي ) للشيخ أبي علي القالي .

فنحن إذن أمام كلام عارٍ عن الثبوت لافتقاره إلى السند  
من جهة ولتناقض المتن وضعفه من جهة ثانية .



أما الحقيقة الجلية في هذا الموضوع التي تكشف الجانب الهام  
من القضية فالرواية السابقة للطبري عن السري عن شعيب عن  
سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي :

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ص ٣٤٠ - ٣٤١ ، طبعة دار الاندلس ،  
الجزء الثاني .

« ... يا أبا ذر عليّ أن أقضي ما علي وآخذ ما على الرعية ،  
ولا أجبرهم على الزهد وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد .

قال : فتأذن لي بالخروج فإن المدينة ليست لي بدار . قال :  
أوتستبدل بها إلا شراً منها ؟

قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أخرج منها إذا بلغ البناء  
سلعاً . قال : فانفذ لما أمرك به .

فخرج حتى أتى الربذة فخط بها مسجداً ، وأقطعه عثمان  
صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين . وأرسل إليه : أن تعاهد  
المدينة حتى لا ترتد اعرابياً <sup>(١)</sup> .

وأورد الطبري كذلك قوله <sup>(٢)</sup> :

خرج أبو ذر إلى الربذة من قبل نفسه لما رأى عثمان لا  
ينزع له . وأخرج معاوية أهله من بعده فخرجوا إليه ومعهم  
جراب يثقل يد الرجل . فقال : انظروا إلى هذا الذي يزهد في  
الدنيا ما عنده !

---

(١) الجزء الثالث ص ٣٣٦ .

(٢) نفس الصفحة في رواية شعيب عن سيف عن الاشعث بن سوار عن

محمد بن سيرين .



فقالت امرأته : أما والله ما فيه دينار ولا درهم ، ولكنها  
فلوس كان إذا خرج عطاءه ابتاع بها فلوساً لحوائجه .

ولما نزل الربذة أقيمت الصلاة وعليها رجل يلي الصدقة .  
فقال : تقدم أبا ذر . فقال : تقدم أنت فإن رسول الله ﷺ  
قال :

إسمع وأطع وإن كان عليك عبد أجدع . فأنت عبد  
ولست بمجدع .

وكان من رقيق الصدقة وكان أسود يقال له مجاشع .  
وروى الطبري كذلك عن جابر بن عبد الله قوله (١) :

أجرى عثمان على أبي ذر كل يوم غطماً وعلى رافع بن خديج  
مثله . وكانا قد تنحيا عن المدينة لشيء سمعاه ولم يفسر لهما ،  
وأبعدا وقد أوطئا .

أما رواية البخاري السابقة فتقول بعدما ذكر عن زيد  
ابن وهب :

« ... كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في » والذين  
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » .

---

(١) الجزء الثالث ص ٣٣٧ في رواية السري عن شعيب عن سيف عن  
مبشر بن الفضيل عن جابر .

فقال معاوية : نزلت في أهل الكتاب . فقلت : نزلت فينا وفيهم . وكان بيني وبينه في ذلك فكتب إلى عثمان يشكوني . فكتب إليَّ عثمان أن اقدم ، فقدمتها . فكثر عليَّ الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك ، فذكرت ذلك لعثمان فقال : إن شئت تحيت فكنت قريباً . فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ، ولو أمروا عليَّ عبداً حبشياً لسمعت وأطعته .

فها نحن نجد البخاري والطبري يجمعان على لسان روااتهم أن خروج أبي ذر إلى الربذة كان بناء على طلب المسلم العظيم نفسه .

إنه يستأذن في الخروج ولا يطرد بينما يعلن الخليفة العظيم عن عدم رغبته في ذلك الخروج .

- فتأذن لي بالخروج فإن المدينة ليست لي بدار .
- وهل تستبدل بها إلا شراً منها .
- أمرني رسول الله ﷺ أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعاً .
- فانفذ لما أمرك به .

إن الذي يظهر لنا أن كلا الأخوين يخشى الفراق ، وتكون الوصية الأساسية لعثمان : أن تعهد المدينة حتى لا تصير أعرابياً .

بينما يرضى ناصر الدين أن يعكسها تماماً ، فيجعل القول

لأبي ذر عندما فرض عليه النفي السياسي مع الإقامة الإجبارية  
إلى أقاصي الصحراء . يكون السؤال لأبي ذر : أصير بعد  
الهجرة أعرابياً ؟

وكم الفرق يا ترى بين الجملتين ؟ .

عثمان : تعهد المدينة حتى لا ترتد أعرابياً .

أبو ذر : أصير بعد الهجرة أعرابياً ؟

إن ما يتلاءم ونفسية عثمان ، لا كما صورته أصحاب الأهواء  
والأغراض ، بل كما صورته حقائق التاريخ ، هو التوصية الأولى  
ولا شك .

إن عثمان الذي يعلن أن من يلقي السلاح من عبيده وهو  
يدافع عنه أنه حر لا يعرف حقداً على مسلم أو يرضى أن يحرم  
مسلماً هجرته ، وفي ذلك أشد مخالفة يغضب بها نبيه .

إن الذي يرفض ورعاً أن تراق قطرة دم في سبيله ، ليس  
غريباً أن يؤلمه بُعد أخٍ مجاهد عنه اختلف معه في الرأي ،  
ويوصيه أن لا يقطع صلته به ، وأن يتعهد المدينة مخافة الأعرابية .

إن الذي يقدم ثروته كلها في سبيل الله ويتوفى عن لا شيء  
إلا جملين أعجفين ، لا يرضى أن يفرض الحرمان على أخٍ له

ويزجه في أقصى البادية ، في الوقت الذي يعرف فيه أن أخاه  
أبا ذر كان الرسول ﷺ يتعهده في كل أحواله وأوقاته .

إن الفكرة التي نادى بها أبو ذر وطلب من الأغنياء أن  
يواسوا الفقراء ولا يكتزون ، لعل أعظم من طبقها في التاريخ  
الإسلامي هو عثمان بن عفان الذي لم يعرف عن امرئ في عصره  
أكثر منه جوداً وعطاء .

ولكن هل كل الناس مثل عثمان ؟؟؟

وهل يستطيع الخليفة أن يجعل كل الناس مثله في الإنفاق  
والبذل والعطاء ، بل حتى ويحبرهم عليه ؟؟؟

هذا من جهة تناسق النص مع نفسية عثمان أمير المؤمنين .

أما من جهة تناسقه مع نفسية أبي ذر ، فلا غرابة أن يختار  
أبو ذر الربذة بإرادته .

أبو ذر الذي حلل القائد الأعظم ﷺ نفسيته فقال : رحم  
الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويعيش وحده ، ويموت وحده ! إنه  
ابن البادية وسليلها وفارسها .

ليس غريباً أن يختار أبو ذر الربذة ، أوليس هو فارس  
الصحراء المعلم ؟

أليس هو الذي كان يهجم على القبائل في عماسة الصبح  
كأنه السبع ؟

أليس هو الذي سار وحيداً يلحق بالجيش الزاحف إلى تبوك  
يتناجى والرمل والذهب والصحراء ؟

أبو ذر الذي لم يعرف إلا طلح سهر في طلب العلم أو نضو  
عبادة في سبيل الله أو قائد فرس على أقاصي الثغور .

هل هناك من فرق عند أبي ذر رضوان الله عليه بين فجاج  
الأرض في قبرص وفجاج الصحراء في الربذة ؟ وهل هناك من  
فرق بين بحار المياه وبحار الرمال في عوالم الأفق والته والشرود ؟



## من آثار اليهودية بين عثمان وأبي ذر

لا بد لنا من أن نلاحق العيسى وناصر الدين والسحر إلى آخر المطاف . فنطلع على خبايا ونفثات الصدور التي أطلقوها لهباً على القرطاس دونما رادعٍ ولا وازع . فها هم يصفون أبا ذر في البلقع الموحش والمفازة النائية ، وتحت عنوان : الغرباء .

راح العيسى يتابع ملحمة الأسطورية على حساب الحقيقة التاريخية :

في أقاصي البيداء يصهرك	الحر أجل في مجاهل البيداء
ها هنا اختارت المدينة مشواك	وفاء وارحمنا للوفاء
هذه زوجك الرؤوم تلوي	أن يبيت الطفلان دون عشاء
حلماً بالطعام مذ بزغ الفجر	وجفت رؤاهما في المساء
هلكت قبل أن تطل على المنفى	طريداً في هذه الأرجاء
هذه زوجك الرؤوم تلا	قيك صباحاً بزفرة خرساء

قضت الطفلة الصغيرة يا للجوع يستل أول الغرباء  
وتوافيك خيمة الأسى بالصمت ولو تستطيعه بالبكاء  
وتجف العروق كارثة أخرى وترنو للطفل تحت الغطاء !  
سمرت أمه بعينيك عينيها وغابت في شهقة حمراء !..

إنها لعاطفة إنسانية نبيلة تلك أن نجد لدى شعرائنا اليوم من  
يعيش آلام المضطهدين وأفات المعذبين وآفات المحرومين . وما  
لم يكن الشعر كذلك فهو دجل وكسب وتجارة .

إننا نريد أن يتجدد هذا الفن الشعري الأصيل الذي يمثل  
حقيقة الإنسان عارياً من كل زيف ، وهو يناضل في سبيل حقه  
السليب ودمه المهدور وماله المنهوب . والعيسى وهو يقدم هذه  
الصور المتنوعة يساهم في هذا البناء ويواكب في إبراز هذه المعاني  
ولكن يا للأسف !.

يقدم هذا على حساب إنسانٍ ما عرف التاريخ البشري بعد  
الأنبياء أعمق منه إحساساً بآلام المضطهدين وأفات المحرومين  
وآفات المعدمين .

على حساب عثمان بن عفان الرجل الذي قام بمشاريع عامة  
تقف الدولة أمامها حائرة ، مبتغياً وجه الله وحده في ذلك .

بئر رومه يشتريه ليصبح مشاعاً للمسلمين يتمتع به الفقراء  
المحرومين .. جيش العسرة يجهزه من ماله ليستفيد منها أولو

الفاقة ويتمتعوا بنعمة الجهاد .. تجارة المدينة ينفقها كلها زمن  
أبي بكر على الفقراء والمحتاجين والمعدمين .. أمواله كلها تحت  
تصرف الرعية وحاجياتهم دون أن يبني قصراً أو يكتنز مالا أو  
يؤسس ثروة ، بل يقتل ورصيده من الحياة جملين .

عبيده الذين عنده يعتقهم في سبيل الله ، فيهبهم حريتهم  
وحياتهم وسعادتهم .

هذا هو عثمان في ذمة الحقيقة والتاريخ !.

\* \* \*

يأتينا ناصر الدين مرة ثانية ليصور موقفه من أبي ذر ويقدم  
لنا ابن جنادة والربذة في بحث تحت عنوان :

### أبو ذر في المنفى

« عاش أبو ذر في الربذة ومعه زوجته وابنه وابنته في خيمة  
ممزقة ينصبها غير بعيد من كثيب من الرمل في ذلك البلقع الموحش .  
لا أنيس لهم فيه سوى غنيمات قليلة يتبلغون بما في ضروعها من  
لبن ، وأحياناً بما ينبت من الكشبان من نبات مثل عنب الثعلب  
وغيره . وظلوا كذلك حيناً طويلاً يشد عليهم العذاب والبلوى ،  
والصحابي الجليل الثائر المؤمن ، تكاد تتقطع أحشاؤه أسىً



وصبراً على الأسى . يرى أهله يتقلبون على جمر البؤس والجوع  
والمرض فيدمى قلبه وتأخذ بحلقه غصص من الألم والحزن تكاد  
تخنقه ، فيسيل قلبه ، وتسيل نفسه كلها دموعاً تخفف من حرقة ،  
ولكنه يشفق على زوجته وولديه أكثر مما يشفق على نفسه .  
فيغالب هذه الغصص ويقوى على حساب جسمه الذي وهن ،  
حتى ليكاد يحطمه الوهن على حساب دموعه » .

إنها لعمر الحق حالة يرثي لها الحجر الصلد . فضلاً عن القلب  
البشري الرحيم !

إن في هذه الحالة وقد تغير جسمه ، ونحل عظمه ، وشحب  
لونه ، يدخل المدينة فيلحق به ناصر الدين لينقل لنا صورة  
حافلة عن ذلك اللقاء .

« انطلق أبو ذر إلى المدينة ودخل على الخليفة عثمان . فراع  
الخليفة منظره ومن شهد مجلسه ، وبينهم حبيب بن مسلمة ،  
راعهم ما كان يبدو على وجهه وفي جماع هيئته من آثار عميقة  
واضحة للبؤس والعذاب ، وقوة الاحتمال المتهالكة . وحقق  
أبو ذر بالخليفة وطلب إليه في لهجة وادعة ، ولكن في هدوء  
وعزم ، أن يؤدي إليه حقه الذي فرضه له كتاب الله لعنه  
بذلك ينقذ من الموت جوعاً نفوساً بريئة هو الذي أرسلها إلى  
المنفى في الأرض البلقع القفر . فلم يرد عليه عثمان ، وأشاح  
بوجهه عنه .

فانبرى حبيب بن مسلمة يقول : يا أبا ذر لك عندي ألف درهم وخمسمائة شاة .

فقال أبو ذر : لست بحاجة إلى أموالك فاعطها غيري إن شئت . وإنما أطلب حقي في بيت المال . حقي المفروض في كتاب الله .

ودخل علي المجلس في تلك اللحظة فقال له عثمان : ألا تكف عنا سفيهك هذا ؟ . قال : أي سفيه ؟ . قال : أبو ذر ! . فقال علي : « والله إنه ليس بسفيه ، فلقد سمعت النبي يشبه زهد وتواضعه وحياءه بما كان لعيسى بن مريم من زهد وتواضع وحياء » .

ولكن ناصر الدين لا يكتفي بهذا المقدار أبداً ، فحبه بالثائر أبي ذر وكلفه به فرض عليه أن يقضي جوعاً ، سواءً رضي أبو ذر بذلك أم لم يرض . ولا يفتح له ثقب إبرة للنقاش معه . ينقل إلينا دموعه وأساؤه بعد وفاة ابنه فيقول :

« .. وعاد والأم الفاجع الوهلى إلى خيمتها الموحشة ، وقد حنت الفاجعة - وهما ما هما فيه من بؤس وعذاب - ظهر بهما ، وجعلت منها شبه خيالين ليس فيها إلا ذماء . وظلا يومها واليوم الذي تلاه لا يأكلان ، ذلك أن لم يكن عندهما ما يأكلانه . فقال أبو ذر : قومي بنا إلى ذلك الكثيب ، نطلب ما نقتات به من نبات . فقاما إلى الكثيب فإذا هو لم يبق فيه

من شيء سوى الرمل . وانقلب أبو ذر وزوجه إلى خيمتهما صامتين . وأويا إلى الخيمة والبرد ينال منها ما ينال منها الجوع والإعياء . »

هذه هي صورة الربذة منفى أبي ذر الغفاري ، والصورة التي تخيلها العيسى وأبو ذر حيث يعيش ابن جنادة الغفاري على النبات منع عنه الطعام والشراب والمأوى ، محروماً مما يقتات به ، ممنوعاً من الاتصال بالناس ، مطروداً من الحياة والوجود ، محجوزاً على حقه في العطاء ، يتوجه إلى الخليفة ليطالب بحقه فيستخف به الخليفة ويغضب منه ، ويتجههم في وجهه ويتهمه بالسفه حتى يخرج دون أن يصل إلى لقمة يطعم بها ولده المشرف على الموت . ويكون المصير المعروف ، موت الجياع من الجوع .

وحتى لا يرد إلى ذهن القارئ أن هذه الرواية التي اعتمدها العيسى رداً لخياله وتبناها ناصر الدين موضوعاً لربذته ، حتى لا يرد لذهن القارئ أنها واحدة من الروايات التاريخية التي يحار ذهن فيها وكيف يعللها ويعلل صحتها ويعتذر عما ورد فيها .

من أجل ذلك ثبتها بنصها كما وردت في أعيان الشيعة حيث أرجعها السيد محسن الأمين إلى مصدرها الأصلي وهو (الأمالي) للشيخ أبي علي القالي (١) :

---

(١) بسنده عن اسعد بن زرارة عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الانصاري .

«لما قدم أبو ذر على عثمان قال: أخبرني أي البلاد أحب إليك؟  
قال : مهاجري . قال : لست بمجاوري . قال : فألحق بحرم الله  
فأكون فيه . قال : لا . قال : فالكوفة أرض بها أصحاب  
رسول الله ﷺ . قال : لا . قال : فلست بمختار غيرهن .

فأمره بالمسير إلى الربذة . فقال : إن رسول الله ﷺ قال  
لي : إسمع وأطع وانقد حيث قادوك ولو لعبد حبشي أجدع .  
فخرج إلى الربذة فأقام مدة .

ثم أتى المدينة فدخل على عثمان والناس عنده سماطين .  
فقال : يا أمير المؤمنين إنك أخرجتني من أرضي إلى أرض ليس  
بها زرع ولا ضرع إلا شويهاة ، وليس لي خادم إلا محررة ،  
ولا ظل يظلني إلا ظل شجرة ، فاعطني خادماً وغنماً  
أعيش منها .

فحول وجهه عنه .

فتحول إلى السماط الآخر ، فقال مثل ذلك . فقال له  
حبيب بن مسلمة : لك عندي يا أبا ذر ألف درهم وخادم  
وخمسمائة شاة . فقال أبو ذر : إعطِ خادمك وألفك وشويهاتك  
من هو أحوج إلى ذلك مني ، فإني إنما أسأل حقي في كتاب  
الله تعالى .

فجاء علي عليه السلام، فقال له عثمان : ألا تغني عنا سفيفك هذا ؟ قال : أي سفيفه ؟ قال : أبو ذر .

قال علي عليه السلام : ليس بسفيفه ! سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر . أنزله بمنزلة مؤمن آل فرعون ، إن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم . «

وتابع السيد محسن الأمين تنمة خبر الأمالي من – الدرجات الرفيعة – قوله (١) :

وذكر صاحب الدرجات الرفيعة هذا الخبر نقلاً عن بعض المؤرخين ، وزاد فيه :

« قال عثمان : التراب في فيك . قال علي : بل التراب في فيك . أنشد بالله من سمع رسول الله ﷺ يقول ذلك لأبي ذر ؟ فقام أبو هريرة وغيره وشهدوا في ذلك . فولى علي ولم يجلس . «

ثم ذكر السيد محسن الأمين تنمة للخبر كما أورده قائلاً :

وفي تفسير علي بن ابراهيم :

---

(١) ورد هذا المقطع الطويل في اعتراضات المرتضى على مسير أبي ذر برضاه حتى النهاية . في أعيان الشيعة من ٥٢٣ لـ ٥٣١ .

أن أبا ذر رضي الله عنه دخل على عثمان وكان عليلاً متوكئاً على عصاه ، وبين يدي عثمان مائة ألف درهم قد حملت إليه من بعض النواحي ، وأصحابه حوله ينظرون إليه ويطمعون أن يقسمها فيهم . فقال أبو ذر لعثمان : ما هذا المال ؟ قال عثمان : مائة ألف درهم حملت إليّ من بعض النواحي ، أريد أن أضم إليها مثلها وأرى فيها رأيي .

ثم التفت عثمان إلى من حوله فقال : أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً فإذا أيسر قضي ؟

قال أبو ذر : إنه لا يجوز .

ثم التفت إلى عثمان فقال له : يا عثمان ، أيما أكثر مئة ألف درهم أم أربعة دنانير ؟ فقال : بل مائة ألف درهم . فقال : أما تذكر أنني وأنا وأنت دخلنا على رسول الله عشاء فرأيناه كئيلاً حزيناً ، فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام ببشره المعهود . فلما أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكاً مستبشراً فقلنا له :

– بآبائنا وأمهاتنا ، دخلنا عليك البارحة فرأيناك كئيلاً حزيناً ، وعدنا إليك اليوم فرأيناك ضاحكاً مستبشراً .

فقال : نعم ، كان قد بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسمتها ، خفت أن يدركني الموت وهي عندي وقد قسمتها اليوم فاسترحمت .

فنظر إلى كعب الأحبار فقال : يا أبا اسحاق ، ما تقول في رجل أدى زكاة ماله المفروضة هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيء؟

فقال كعب : لا لو اتخذ لبننة من ذهب ولبننة من فضة ما وجب عليه شيء .

فرفع أبو ذر عصاه فضرب بها رأس كعب ثم قال له : يا ابن اليهودية الكافرة ما أنت والنظر في أحكام المسلمين أصدق من قولك قول الله حيث قال : والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها ... إلى آخر الآية .

فقال عثمان : يا أبا ذر ، إنك شيخ خرفت وذهب عقلك ولولا صحبتك لرسول الله لقتلتك .

فقال : يا عثمان ، أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : لا يفتنونك ، يا أبا ذر ولا يقتلونك . وأما عقلي فقد بقي منه ما أحفظ حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال : وما سمعت من رسول الله ؟

قال : سمعته يقول : إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً ، صيروا مال الله دولا ، وكتاب الله دخلاً ، وعباده خولاً ، والفاسقين حزباً ، والصالحين حزباً .

فقال عثمان : يا معشر أصحاب محمد ، هل سمع أحد منكم هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقالوا : لا .

فجاء أمير المؤمنين ( يعنون به علي بن أبي طالب رضي الله عنه تشكيكاً بإمارة عثمان ) فقال له عثمان : يا أبا الحسن ، أنظر ما يقول هذا الشيخ الكذاب .

فقال أمير المؤمنين : يا عثمان لا تقل كذاب ، فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر .

فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صدق أبو ذر ، سمعنا هذا من رسول الله . فبكى أبو ذر عند ذلك .

فقال عثمان : يا أبا ذر بحق رسول الله إلا أخبرتني عن شيء أسألك عنه .

فقال أبو ذر : والله لو لم تسألني بحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أخبرتك .

قال : أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها ؟

قال : مكة حرم الله وحرم رسوله أعبد الله فيها حتى يأتيني الموت .

فقال : لا ، ولا كرامة لك .



فقال : المدينة . قال : لا ولا كرامة لك . فسكت أبو ذر .

فقال عثمان : أي البلاد أبغض إليك تكون فيها ؟ فقال :  
الربذة التي كنت فيها على غير دين الإسلام . فقال عثمان : سر  
إليها . فقال أبو ذر : صدق الله ورسوله . «

فنحن إذن أمام هذه الأخبار الطويلة المتقطعة لدى ثلاث  
مصادر ، هي :

الأمالي للشيخ أبي علي القالي ، وتفسير علي بن ابراهيم ،  
والدرجات الرفيعة .

أما المصدر الأول فهو وإن كان يعتمد السند ، لكن السند  
ليس كاملاً من جهة وهو من جهة ثانية مصدر من مصادر الأدب  
يعتمد القصص والحكايات والنوادر أكثر مما يعتمد الثبوت  
التاريخي والتحقيق المنهجي .

أما تفسير علي بن ابراهيم ، فهاذا يمكن أن نقول عنه أنه  
أكثر من رأي شخصي مجت . يتحدث به المفسر كما يحلو ويعن  
له . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فهو مصدر غير معروف  
عندنا نحن أهل السنة حتى يمكننا الرجوع إليه ومعرفة طريقة  
التفسير فيه .

وما قيل عن المصدر الثاني فيمكن أن يقال عن المصدر

الثالث . فهو مصدر تاريخي لا يمكن معرفة طريقته وكيفية سرده واعتماده السند إلا برؤيته . ولكنه يكفينا عوضاً عن النظر فيه نفس النص وطبيعته التي أوردتها السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة .

وذكر صاحب الدرجات الرفيعة هذا الخبر نقلاً عن بعض المؤرخين .

فمن هو هذا المؤرخ الذي نقل الخبر عنه ؟

ومن هم هؤلاء المؤرخون أو بعضهم الذين نقل الخبر عنهم ؟

فنحن أمام غموض وجهالة ، ولا تثبت حقائق التاريخ بهذا الغموض وهذه الجهالة . ولا يجوز في منطق التاريخ نفسه أن نبني آراءنا على طريق مجهول وغامض .

وبنفس الوقت هذا الكلام حجة لنا ولإخواننا الشيعة أنفسهم وذلك لثلاثة أسباب :

أولاً : أن الحجة الملزمة لإخواننا من الشيعة الإمامية هو ورود النص عن طريق واحد من أهل البيت حتى يكون ثقة ومقبولاً . أما ما كان غير ذلك فهو معرض للشك والنقد ، فقد لا يكون ثقة ولا مأموناً .

**ثانياً :** إن إيراد السيد محسن الأمين لهذه الأخبار في كتابه الكبير (أعيان الشيعة) لا يقدم فيها لنا رأيه الشخصي. فهو قد اعتمد الأمانة التاريخية وعزى كل خبر إلى مصدره وإلى صاحبه ، ولا يحمل هو مسؤولية إثبات أي حادث تاريخي معين .

**ثالثاً :** لقد أورد لنا السيد الأمين رأي المرتضى رضي الله عنه في ترجيحه لنفي أبي ذر . وقد قام هذا الترجيح كذلك على الأخبار التاريخية الواردة ، ولا يمكن القطع أو الجزم بصحة أي منها لأنها ليست متصلة بالسند بأحد من أهل البيت ، وهذا يعني أنها غير ملزمة .

بينما نجدها من جانب ثانٍ هي غير موثوقة عندنا أهل السنة إطلاقاً . لأنها إما مفتقرة إلى السند التاريخي من جهة أو مسقطة لبعض رجال السند ، وهذا يعرض الخبر للجهالة والطعن . وغير وارد في أمهات كتب التاريخ والحديث الموثوقة المعتمدة .

ونعود بعد هذه المناقشة الهادئة لهذه الروايات أو الحكايات بالأحرى لنقف - كما هي الخطة الملتزمة في هذا البحث - أمام المصادر التاريخية المأمونة لنمسك أولاً بطرف الخيط من رواية الطبري السابقة التي تشرف على نهايتها ، وهي رواية السري عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي .

ونعيد الى الأذهان الدوافع التي وجهت أبا ذر للخروج إلى  
الربذة (١) :

« ... ودخل على عثمان فقال : يا أبا ذر ما لأهل الشام  
يشكون ذربك ؟ . فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال مال الله ولا  
ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالاً . فقال : يا أبا ذر عليّ أن أقضي  
ما عليّ وأخذ ما على الرعية ، ولا أجبرهم على الزهد ، وأن  
أدعوهم الى الاجتهاد والاقتصاد .

قال : فتأذن لي بالخروج فإن المدينة ليست لي بدار . قال :  
أوتستبدل بها إلا شراً منها ؟ قال : أمرني رسول الله ﷺ أن  
أخرج منها إذا بلغ البناء سلماً .

قال : فانفذ لما أمرك به .

فخرج حتى نزل الربذة فخط بها مسجداً ، وأقطعه عثمان  
صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين وأرسل اليه أن تعهد المدينة  
حتى لا ترتد أعرابياً .

وهذا الموقف هو الذي ينسجم تماماً مع شخصية عثمان  
المؤمن الجواد الذي كان يأمل بالأشرار خيراً ولا يسيء اليهم ،  
فكيف به يحنود الدعوة ورفاق الجهاد الذين شهد بهم رسول الله  
ﷺ خيراً .

---

(١) الجزء الثالث ص ٣٣٦ .

وهذه رواية الطبري الثانية عن ابن عباس رضي الله عنهما (١)  
كذلك ترسم لنا علاقته بعاصمة الدولة ومركز الخلافة، وبواعث  
تردده على المدينة وروح العلاقة بينه وبين أخيه أمير المؤمنين  
عثمان .

كان أبو ذر يختلف من الربذة الى المدينة مخافة الأعرابية ،  
وكان يحب الوحدة والخلوة . فدخل على عثمان وعنده كعب  
الأحبار ، فقال لعثمان :

لا ترضوا من الناس بكف الأذى حتى يبذلوا المعروف .  
وقد ينبغي لمؤدي الزكاة أن لا يقتصر عليها حتى تحسن إلى الجيران  
والإخوان ويصل القربات .

فقال كعب : من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه .

فرفع أبو ذر محبته فضربه فشجه . فاستوهبه عثمان فوهبه  
له وقال : يا أبا ذر اتق الله واكف يدك ولسانك .

وقد كان قال : يا ابن اليهودية ما أنت وهاهنا، والله لتسمعني  
مني أو لا أدخل عليك . «

---

(٢) السري عن شعيب عن سيف عن محمد بن عوف عن عكرمة عن  
ابن عباس .

إن مقدم أبي ذر للمدينة لم يقتصر فقط على الوقت الذي خرج يطلب به عطاءه لأن ابنه مات جوعاً ولأنه وزوجه أشرفا على الموت .

فلم تحتفظ لنا وثائق التاريخ الثابتة بهذا اللقاء العجيب ، بل احتفظت لنا بعكسه والله الحمد ، عن رجل من أهل بيت رسول الله ﷺ عن حبر الأمة ابن عباس الذي كان أمير علماء الجيل الذي نشأ فيه .

نقل لنا أنه خرج مرات لا مرة واحدة وتردد على المدينة لا لأنه محروم من العطاء ومطروود الى الربذة ، بل لأنه نفذ وجهة نظر أخيه عثمان الذي اقترحها عليه أن يتردد على المدينة حتى لا يرتد أعرابياً .

« وتعاهد المدينة حتى لا ترتد أعرابياً » .

فهو يريد أن يبقى مهاجراً يحمل ذلك الوسام الخالد الذي أخذه يوم ترك منازل غفار وديارهم ومضى يقصد الصحبة والهجرة .

ولقد أثلج ابن عباس صدورنا وهو ينقل لنا التحليل الدقيق لشخصية أبي ذر حين أعقب الحديث عن بواعث التردد للمدينة عن انسجامه مع جو الربذة وطبيعتها - وكان يحب الوحدة والخلوة - .

هذه الناحية المهمة التي غفل عنها أكثر المؤرخين المحدثين أو بتعبير أدق أكثر الحاكين والقصاص عن أبي ذر ، أو أنهم تغافلوا عنها بدهاء وخبت حتى يثيروا في أذهان الجماهير من هذه الأمة أن النفي هو الأصل بالنسبة لشيخ غفار. ويشوهوا بذلك شخصية الأمير المسلم العظيم عثمان بن عفان .

هذه الناحية من خلق أبي ذر وتكوينه وطبيعته التي لخصها إمام الخلق صلوات الله عليه بقوله :

« رحم الله أبا ذر ، يعيش وحده ، ويموت وحده ، ويبعث في أرض وحده » .

إنني لا أزال الى الآن أذكر نقاشاً مع رجل من كبار المسؤولين في سورية حول أبي ذر ، وحول هذه النقطة بالذات . فأسرد له رواية البخاري والطبري ، كيف أنكر كل هذه الروايات الصحيحة الثابتة اعتماداً على نقطة انطلاق خاطئة ، هي :

أن طبيعة الشخصية الإنسانية ترفض الهجر والبعد والانفراد.

نعم ، قد يكون هذا صحيحاً عندما لا نملك رواية نثق بها وتتساوى الروايات في الضعف والقوة . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية عندما لا نكون حيال شخص من طراز رفيع ، لا تصل الى مستواه عظماء الشخصيات الإنسانية . عندما لا نكون

حيال شخص يترك العطاء واللقاح تغدو وتروح عليه باختياره ،  
يترك حقه ويرضى بما يسد الرمق ويقيم الأود .

أفلا يجب أن نقول كذلك أن هذا غير صحيح لأنه ليس  
من طبيعة الانسانية ؟

أما أن تكون لدينا روايات موثوقة وروايات موضوعة ،  
فبأي حق لنا نميل الى الموضوع غير حق الهوى الشخصي  
والرأي العادي ؟

أما أن نكون حيال طراز فريد من البشر قلّ نظيره .

كان في الجاهلية ابن البادية ، وفارس الصحراء ، وحده  
يطرق الحي كالسبع ، ثم هو نفسه انفرد بأرائه في العقيدة دون  
تأثره ببيئته وقومه وكان في الميدان وحده . ثم هو نفسه أسلم  
وتبنى الإسلام عقيدة وجهاداً مع بيئته وقومه . وكان في الميدان  
وحده حتى نزل المدينة ببيوت غفار كلها .

ثم هو نفسه يمضي الى تبوك بعد أن تخلف به بعيده الأعجف ،  
يشوبه لهب الصحراء وهو في البيد وحده .

ثم هو نفسه الذي عرفه شعبه وبيئته بأوضح من الشمس أن  
من طبيعته أنه يحب الوحدة والخلوة كما روى لنا ابن عباس  
رضوان الله عليهما .



ثم هو نفسه ، وهذا وحده يكفي ليكون الدليل الوحيد  
بين يدينا دون غيره من الأدلة ، ألا وهو شهادة الرسول ﷺ  
بأبي ذر :

« رحم الله أبا ذر ، يعيش وحده ، ويمشي وحده ، ويموت  
وحده !. »

نكون أمام هذا الإنسان العظيم الفريد الغريب على الطبيعة  
البشرية والمستعلي عليها حين كان لا يأنس إلا بالله دون سواه ،  
وأمام هذه الروايات الصحيحة الثابتة ، ثم ننكر ذلك كله حتى  
نثبت رأياً تبيناه ونصور أبا ذر يخاف الوحدة مثلنا ، ولا  
يسير الى الربذة إلا على أسنة الرماح .

سبحان ربي هذا بهتان عظيم !

وها نحن نعود بعد ذلك الى النص نفسه ، ونرى هذه  
المناقشة المقتضبة التي جرت بين أبي ذر وعثمان ، وأقبح كعب  
الأحبار نفسه فيها إقحاماً ...

إن الشيء المعروف لدى أقل الباحثين اليوم أن الرأسمالية  
والشيوعية وهما الفكرتان اللتان يتصارع العالم عليهما بعنف  
وحدة ، هما من إنتاج وإخراج الصهيونية العالمية حتى تدمر  
العالم كله

فالذين ساهموا في بناء الرأسمالية ووضع أسسها هم يهود ،  
والذين ساهموا في وضع فكرة الصراع الطبقي ، وكانوا وراء  
الحكم الروسي في تطبيق الشيوعية هم يهود كذلك . والذي يرجع  
الى كتاب ( بروتوكولات حكماء صهيون ) يدرك ذلك ويراه .  
حين يحقق في قادة الثورة الشيوعية ، وأعضاء مجلس السوفييت  
الأعلى ، فيرى أن ثلاثة عشر من سبعة عشر كانوا يهوداً ،  
والباقون مختلطون بقرابة أو زواج من اليهود .

إن هذه النقطة التي لا تخفى كما قلت على أقل الباحثين اليوم ،  
يستطيع أن يقف بدقة وعمق وتحليل أمام هاتين الصورتين  
فيدرك منها المدى الذي تخطط به الصهيونية العالمية والمجال  
الذي تسير فيه .

لننتقل بعد ذلك الى ما قبل ألف ونيّف من السنين ، الى  
عصر عثمان .

وقد يعجب القارئ لهذا الانتقال المفاجيء ، ولكن أي  
داعٍ للعجب ، ونحن نقف ثانية أمام شخصيتين غامضتين  
مريبتين .

أمام عبد الله بن سبأ ، اليهودي الذي يركز على الفكرة التي  
يريدها ، فيظهر في الشام نصير الفقراء والمستضعفين والمحرومين .

وأمام كعب الأحبار الذي كان يهودياً ، حيث يركز على

الفكرة التي يريدونها فيظهر في المدينة نصير الأغنياء والمالكين  
والمثريين ...

أمام قول ابن سبأ :

« كأنه يريد أن يحتجبه من دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين » .  
وأمام قول كعب الأحبار لأبي ذر :

« من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه » .

أليس هذا الموقف الغريب لابن سبأ وكعب الأحبار يجعلنا  
نؤكد أن صورة الانتاج الجديد للرأسمالية والشيوعية هي نسخة  
مكررة ومعادة عن ذلك الموقف المشين أيام عثمان ؟؟

أليس تعميق الهوة بين الحكام والشعوب هو أول غاية ومرمى  
من غايات ومرامي اليهودية العالمية ؟

ولقد كلف بدور نصير الحكم كعب الأحبار .

وكلف بدور نصير الشعب عبد الله بن سبأ .

وذلك حين تقع المجازر الرهيبة التي يريدونها ، وتختلف كلمة  
لأمة وتفسد ذات بينها ويضرب برها بفاجرها .

إن هذا لعمر الحق واضح وضوح الشمس لا يحتاج إلى بيان ،  
ومن أجل ذلك وجدنا هذه اليهودية المنظمة الرهيبة . وكما تقف

اليوم في طرفي نقيض وجدناها كذلك من قبل وفي زمن عثمان  
تقف في طرفي نقيض ، حتى تحقق الصراع الذي تريد والحرب  
التي تروم .

ولذلك وجدناها استهدفت شخصية أبي ذر بالذات . تريد  
أن تجعل منه واجهة المعركة مستفيدة مما له من شعبية وثقة في  
صفوف الأمة المسلمة . ولكن أبا ذر المسلم العظيم والثائر الرائد  
كان أوعى بكثير مما تخطط اليهودية الرهيبة ، وفوت عليها  
الفرصة متمسكاً بالنطاق الذي رسمه قائده له عليه الصلاة  
والسلام حيث حصره بين نقطتين :

اولاها : ... وأوصاني حبيبي أن أقول الحق ولو كان مرأ ،  
وأوصاني أن لا أخشى في الله لومة لائم .

وثانيها : كيف بك يا أبا ذر إذ ...

قال : اصبر حتى تلقاني .

ولذلك عجزت أن تجره الى مجال الدم والحرب ، وانكفأت  
خاسرة لثيمة . ووجدنا أبا ذر يوجه صفعته القوية الصاعقة  
بمحججه لكعب فيدميه ويقول : يا بن اليهودية ما أنت وها هنا ،  
أنت تعلمنا ديننا ؟

ونجد عثمان أمير المؤمنين يهدىء من أعصاب أبي ذر ويخفف

من غضبه ، يريد أن يطفىء شرارة إذا اشتعلت فلن تنطفىء  
حتى تحرق وحدة الأمة وتماسكها . نراه يستوهب الضربة من  
كعب فيهبها له ، ويطلب من أبي ذر الصبر والتريث : اتق الله  
واكف يدك ولسانك . ويوطئ كنفه لأخيه أبي ذر الذي  
يهدده بصوته الهادر :

« والله لتسمعن مني أو لا أدخل عليك »

نضع هذه المعاملة العظيمة وهذه الروح السمحة من عثمان  
أمام تلك الصورة العفنة التي تشيع على لسان عثمان وتدعي :

« أخبروني ما أفعل في هذا الشيخ الكذاب »

« يا علي ، ألا تكف عنا سفيك هذا ؟ »

« إنك شيخ قد خرفت وضاع عقلك ولولا صحبتك لرسول  
الله لقتلتك » .

نضع الحقيقة أمام الدجل ، والنور أمام الظلمة الرهيبة ،  
ومعاذ الله أن يلفظ عثمان أمثال هذه الألفاظ النابية .

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

سال لعاب ابن سبأ أن يعمق الهوة بين أبي ذر ومعاوية في

الشام فباء بالخسران حين تفاهم الأخوان ، ورضي معاوية أن يقول مال المسلمين .

وسال لعاب كعب أن يعمق الهوة بين أبي ذر وعثمان فيدفع أحدهما للغضب من الآخر ، وينقطع خيط العقد الذي يربط هذه الأمة ببعضها ، فباء بالخسران وكانت الضربة والشجة له .

لكن وبكل أسف حين عجزت اليهودية عن تحقيق أهدافها بأبي ذر ويئست منه ، راحت تخطط في الخفاء عن غير هذا الطريق ، عن طريق الأعراب الذين يندفعون بحكم تكوينهم الشخصي تحت أول دافع ومؤثر ، مستغلين عفويتهم وسذاجتهم وسطحياتهم حتى حققوا بهم كل ما يلمون من أهداف .

فكان القضاء على عثمان ، وكان بعدها القضاء على علي . وكان بعد هذا كله الحروب الرهيبة التي راح ضحيتها الألوف من الأبرياء .

هذا ولا بد من التعرض بكلمة بسيطة لكعب الأحبار .

فالمؤرخون لم يجمعوا على التشكيك فيه ، وهو عند بعضهم صحابي جليل وثقة ، وأنا لا أميل الى هذا الرأي لسببين :

أولاً : أن معظم الإسرائيليات التي دخلت ضمن علوم التفسير والحديث كانت عن طريقه لأنه حبر يهودي . وكثيراً

ما يفسر آي الله بتخرصات يهود وأقاويلهم وادعائهم  
أنه التوراة المنزل من عند الله .

ثانياً : موقفه من مقتل عمر رضوان الله عليه ، وادعاؤه له أنه  
ميت بعد ثلاث . وإثبات ذلك أنه موجود في كتب  
التوراة . وظهور المؤامرة الوثنية الخائنة بعد ثلاث .

وأياً كان الأمر ، فإن نحن سلمنا جدلاً بصحة إسلام كعب  
فمن العسير جداً بل من غير المقبول أصلاً أن نعتقد أنه لم يساهم  
بشكل مباشر أو غير مباشر في فتنة عثمان ، وتعميق الهوة بين  
الطرفين الراعي والرعية .

وقبل هذا كله علمه بمقتل عمر رضوان الله عليه واتصاله  
بخيوط المؤامرة المجرمة الخائنة التي قضت على عبقرى هذه الأمة  
وفاروقها العظيم عمر بن الخطاب عليه رضوان الله .

ولنعد ثانية لنتعرف على جو الربذة في إشراق الحقيقة  
ونصاعة التاريخ . أورد الطبري في تاريخه عن سلمة بن نباتة  
قوله (١) :

« خرجنا معتمرين فأتينا الربذة فطلبنا أبا ذر فلم نجده ،  
وقالوا : ذهب الى الماء . فتحممنا ونزلنا قريباً من منزله ، فلم

---

(١) رواه الطبري عن شعيب عن سيف عن سلمة بن نباتة .

يمكث إلا قليل حتى جاء فجلس إلينا وقال : إن رسول الله ﷺ قال لي : إسمع وأطع وإن كان عليك عبد حبشي أجعد . فنزلت على هذا الماء ، وعليه رقيق من رقيق مال الله وعليهم حبشي وليس بأجعد وهو ما علمت . ولهم في كل يوم جزور ، ولي منها عظم آكله أنا وعبائي . قلت : ما لك من المال ؟ قال : صرمة من الغنم وقطيعاً من الإبل في أحدهما غلامي وفي الآخر أمين ، وغلامي حر إلى آخر السنة .

قلت : إن أصحابك قبلنا أكثر الناس مالاً .

قال : أما إنهم ليس لهم من مال إلا ولي مثله . «

فألربذة ليست منقطعة عن العالم كما يوهم الروائيون والمنشدون اليوم ، بل هي عامرة بالناس مأهولة بالسكان . وهي على ممر طريق الحجيج . وكان بها أناس مقيمون بشكل دائم ، وبها مسجد وممثل رسمي للدولة هو العبد الحبشي الذي وصفه أبو ذر . ورفض صاحب رسول الله أن يؤمهم بل ترك الامامة لهذا العبد .

ولم يكن أبو ذر يعيش على النبات والحشائش كما يحلو لناصر الدين والعيسى أن يصفوا معيشتهم . لقد كانت حصته من الأكل تصله كل يوم بشكل دائم ، وهو عظم من الجزور المقرر لأولئك الرقيق . وكان يكتفي بذلك لأنه لا يريد أكثر من ذلك ، لا لأنه حرم الطعام والزاد من حقه حتى مات جوعاً .



ولكي نتعرف على المستوى الرفيع الذي وصل اليه المجتمع الإسلامي ، فنجد أن أدنى حدٍ من المعيشة وأقله كان يثله أبو ذر ، وكان عنده اثنان من العبيد وهما غلام وأمة ، وقطيع من الإبل ، وقطيع من الغنم ، وبعض العنزات .

ولا حاجة بنا أن نعرف معيشة الغلام والأمة . فلقد عرفنا تلك الصورة في محلها حيث كان يلبس مما يلبس غلامه ويأكل مما يأكل غلامه . فليس هناك إذن في المجتمع محروم على الإطلاق طالما أن الحد الأدنى على هذا المستوى .

ويجب أن لا يغرب عن البال بعد ذلك ، تلك الصورة الوهاجة المتلألئة صورة الدولة وهي تتعهد رعاياها في كل مكان ، فتبلغ الطعام الى أبناء الأمة حتى تصل الى البادية .

وكما روى لنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه (١) :

« أجرى عثمان على أبي ذر كل يوم عظماً وعلى رافع بن خديج مثله . وكانا قد تنحيا عن المدينة لشيء سمعاه ولم يفسر لهما ، وأبصرا وقد أوطئا . »

فحصه أبي ذر جزء من حصّة عامة من جزور كامل ينحر يومياً ليوزع على أبناء الأمة المقيمين في الربذة من الرقيق .

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات عن يزيد بن هارون عن العوام بن خوشب عن جابر بن عبد الله .

وسنقف الآن أمام نص رواه ابن سعد في الطبقات يفهم من خلاله أن عثمان قد سَيَّر أبا ذر إلى الربذة، لكن صحته سقيمة، وهو معلول كما يقول علماء تاريخ الرجال أو مقطوع . وبه جهالة فاحشة في السند ومع ذلك سندكره (١) .

« نزلنا الربذة فمر بنا شيخ أشعث أبيض الرأس واللحية ، فقالوا : هذا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فاستأذناه أن نغسل رأسه ، فأذن لنا واستأنس بنا .

فبينما نحن كذلك إذا أتاه نفر من أهل العراق فقالوا : يا أبا ذر فعل بك هذا الرجل وفعل فهل أنت ناصب له راية ؟ فلنكمل برجال ما شئت . فقال : يا أهل الإسلام لا تعرضوا علي ذاكم ولا تذلوا السلطان ، فإنه من أذل السلطان فلا توبة له .

والله لو أن عثمان صلبني على أطول خشبة وأطول جبل لسمعت وأطعت وصبرت ومشيت ورأيت أن ذلك خير لي . ولو سيرني ما بين بين الأفق والأفق - أوقال ما بين المشرق والمغرب - لسمعت وأطعت، وصبرت واحتسبت ورأيت أن ذلك خير لي . ولو ردني إلى منزلي لسمعت وأطعت وصبرت واحتسبت ورأيت أن ذلك خير لي . »

---

(١) رواه ابن سعد عن رجل من أصحاب الأجر عن شيخين من بني ثعلبة.

ورواية شبيهة بهذه الرواية عن عبدالله بن سيدان السلمي  
قوله :

« تناجى أبو ذر وعثمان حتى ارتفعت أصواتهما ثم انصرف  
أبو ذر مبتسماً فقال له الناس : ما لك ولأمر المؤمنين ؟

قال : سامع مطيع ولو أمرني أن آتي صنعاء أو عدن ثم  
استطعت أن أفعل لفعلت ، وأمره عثمان أن يخرج إلى الربذة .»

إنني لم أتعرض لهذه النصوص على ثقة من صحتها . فالجهالة  
في سندها واضحة فاضحة تجعل من العسير على الإنسان أن  
يعتمدها أساساً في البحث المنهجي غير أنني أود أن ألح على نقطة  
من خلالها على افتراض صحتها تضع كثيراً من الأضواء على  
التحليلات الجانفة المنحرفة .

فما أثبتته السحار والعيسى وناصر الدين تؤكد فكرة الطرد  
إلى أقصى البادية بالإرغام والقسر والإكراه . وخروجه مخفوراً  
مع مروان بن الحكم ، ومنع الناس من تشييعه والاقتراب منه  
والاتصال فيه كأنما هو مجرم حرب أو مرتد دين . وإن المرء  
ليعجب من رضا هؤلاء الكتاب عن هذه الصورة القائمة الكالحة  
أن يجعلوها ثبثاً في كتبهم .

مع أن هذين النصين ليرسمان لنا ذلك الإطار العجيب من  
الثقة والتفاهم والإكبار بين المسلمين العظمين .

أبو ذر يرى الخير فيما يراه إمامه . سيان كان نفيًا قريباً أو بعيداً أو صلباً على أطول خشية أو أعرضها . فلن يقصد عثمان في رأي أبي ذر غير المصلحة العامة مصلحة الجماعة .

أفما كان حرياً بمن يحللون نفسيات أبي ذر وعثمان أن يقفوا طويلاً عند هذا النص أم أنهم لم يسمعوا به ولم يجدوه بعد أن أهلكهم البحث وأعياهم التنقيب .

كما نرى روح النص الثاني التي تشير إلى البسمة العريضة . وقد ارتسمت على وجه أبي ذر المشرق وهو يقول :

سامع مطيع ولو أمرني أن آتي صنعاء أو عدن فعلت وأمره بالخروج إلى الربذة .

فهذه الصورة الحية من النفوس تفوت ولا شك على الكتاب غايتهم إنهم يريدون أن يثبتوا الراية الاشتراكية لأبي ذر . وفكرة الصراع الطبقي الذي أزكت أنوفهم وعطلت أحاسيسهم النقية . تجعل من العسير عليهم أن يقبلوا هذه الروح من المعاملة بين عثمان وأبي ذر .

إن فكرة السحل والقتل أو الاستغلال والاستئثار . والرأسمالية والشيوعية وامتصاص دماء الشعوب .

لاتتناسب هذه الأفكار أبداً إذا اعتمدوا هذه النصوص لأنها لا تظهر فكرة الصراع الطبقي . والحقد الأسود والحكم الأهوج ، وما هذا الذي يريدونه ، ولو كانوا عندما اقدموا على دراسة هذا الموضوع يودون من الأساس اعتماد هذه النصوص مع ضعفها . لما أقدموا أبداً على دراسة أبي ذر ولما أخذ من حياتهم شيئاً . ولما أتعبوا أنفسهم وأقلامهم الجريئة النابضة بالكتابة .

وإن من أعظم الأخطاء التي ينغمس بها المؤرخ أو الكاتب أن يحمل فكرة مسبقة ويأتي إلى التاريخ ليحققها . ويؤكد كدها ويقحم ما يشاء ويتعسف ما يشاء من النصوص ويعلل ويحلل حتى ينال بغيته ويحقق مأربه .

وشيء آخر نفهمه وراء هذين النصين .

هو متابعة الحلقة التي ابتدأت في دمشق ولاحقت أبا ذر إلى الربذة ابتدأت بآبن سبأ ومرت في طريقها بكعب الأحبار . وعادت فغيرت الهوية وأرسلت رسل الثورة المسلحة لتجعل من أبي ذر حامل لواء العنف وقائد السلاح وصاحب الفكرة . وهذه الرسل تعلن صراحة بين يدي أبي ذر ، فهل أنت ناصب له راية فلتكمل برجال ما شئت .

إنهم مستعدون أن يقاتلوا ويهدموا الدولة على رأس عثمان .

وقد فعلوها . ولكنهم كانوا يريدون أن يستتروا وراء  
الداعية العظيم أبي ذر ويجعلونه تكأة وسرباً يدخلون من  
ورائه على عثمان فيقضون عليه ولكن رسل ابن سبأ وجنده  
لاحقوا أبا ذر للربذة انكفأوا خاسرين يتلمظون ويحملقون في  
بعضهم البعض ورأوا أبا ذر صخرة تتحطم عليها المؤمرات .  
وتتكسر على صلابتها كل المحاولات اليائسة لجره إلى معركة  
رهيبة مشبوهة . تفتح الفتنة على مصراعيها ولا يعلم مداه إلا  
إلا الله رب العالمين .

تلك الحلقات المتتابعة للمحاولة اليهودية في نحر جسم الأمة  
تتهاوى بين قدمي أبي ذر شيخ غفار . وتحت عظمة التزامه  
بالاسلام إنه يندد بالمستغلين القاصدين لضرب وحدة  
الأمة وإذلال السلطان . ويبرىء نفسه من غطرستهم  
ومحاولاتهم .

فيعلن السمع والطاعة والولاء للإمام العظيم عثمان . وسواء  
عنده صلبه أو نفاه من الأفق إلى الأفق . ومن المشرق إلى  
المغرب . من المدينة لعدن وصنعاء فهو الجندي الملتزم  
لقيادته . عليه أن يعلن رأيه لا يخشى في الله لومة لائم .  
رفع صوته ، وأعلن رأيه ، وأوضح فكرته ، وترك

المسؤولية على أخيه في الله عثمان ليلقى الأحبة محمد  
وصحبه .

كما أمره سيده وقائده صلوات الله عليه .

« اصبر حتى تلقاني » .

وها هو ينتظر ساعة اللقاء .



## أبو ذرٍّ في جوار الله

ولنشهد وفاة أبي ذر لدى علي ناصر الدين .

« وانقلب أبو ذر وزوجه إلى خيمتهما صامتين وأويا إلى الخيمة . والبرد ينال منها ما ينال منها الجوع والاعياء . فجلس أبو ذر وكأنه هوى الى الأرض فالتفتت اليه زوجته فإذا هو يرتجف وقد تبدى جبينه بالعرق رغم البرد ، وبدت عيناه وكأن النور أخذ فيها ينطفيء . فراع امرأته منظره المؤلم المحزن ، وراحت تبكي بكاءً مرأفاً فقال ما يبكيك ؟

**قالت :** مالي لا أبكي وأنت بعد صحبتك رسول الله عشر سنوات وعملك بكتاب الله وسنة رسوله وجهادك في سبيل الخير والحق . يخرجك الخليفة إلى هذه الصحراء . فيموت ولدنا جوعاً وأراك أنت الآخر تموت بين يدي وليس عندنا ما يصلح أن أجعل منه كفناً لك . ولست أدري ما الذي سيحل بي في القفر الموحش بعدك .



فنفذت كلماتها إلى صميم روحه وآلمته أكثر مما يؤله موت  
ولديه ومعرفته أنه هو أيضاً ميت بين يدي هذه المرأة الوفية  
التقية الصبور .

وقال لها : دونك الكتيب وانظري لعل فيما يقع عليه بصرك  
من هذه الفلاة ركباً تقولين لهم أن أبا ذر صاحب رسول الله قد  
قضى نحبه . فتأخذهم الرحمة بي وبك . فيعينونني على تكفينك في  
هذه الرمال .

وراحت ترسل نظرها بآفاق الصحراء . فإذا هي تبصر على  
بعد ركباً مقبلاً فألاحت بثوبها فلم تمض دقائق إلا والركب  
محيط بها يقولون :

لبيك يا أمة الله ، ما شأنك ؟ قالت : امرؤ من المسلمين  
قضى تكفونونه تؤجرون فيه . قالوا : ومن هو ؟ قالت : إنه  
أبو ذر صاحب رسول الله فذهل القوم واستنكروا أن يموت  
صاحب الرسول في هذه الفلاة ...

ثم يتابع قوله « وأغمض الرجل الصالح الثائر على الظلم  
وعلى الحرام وعلى كل منكر ... وما هي إلا لحظات حتى أسلم  
روحه لله في طمأنينة وهُدوء . فغسله القوم وكفونوه ثم صلوا  
عليه ودفنوه »

ويعقب على وفاته قائلاً :

« ان هذه النهاية في عالمنا هذا . بعواملها والبواعث عليها  
هذه النهاية الرائعة يتجسد فيها طراز من الاستشهاد الهادىء  
المطمئن الممعن في الاستشهاد - إن صح هذا التعبير - هذه  
النهاية يتجسد فيها طراز من البطولة العارمة الفاتنة النادرة  
النظير ، تجعل من أبي ذر الزاهد الوديع ، عظيماً من عظماء  
القمة في الأرض والسماء .

« إنها لتجعل في نظري من الذين حرموه وظلموه واضطهدوه  
عارفين أو غافلين مهما يكن من أمرهم خفافاً مساكين في ميزان  
العظمة الحق ميزان السماء . »

وها نحن نودع ناصر الدين في بحته هذا حيث ينتهي به  
المطاف إلى أمرين اثنين لهما أهمية بالغة .

**أولاهما :** أن أبا ذر مات مقطوعاً جوعاً هو وبنيه وزوجه .

**وثانيهما :** إن الذين حرموه وظلموه واضطهدوه وعلى رأسهم  
عثمان ذو النورين ثالث الخلفاء الراشدين . وقد صدر  
الحكم عليهم من الثائر الكبير الخطير . الحكم الذي  
لا يرد ولا ينقض .

أنهم خفاف عند الله مساكين . خفاف في ميزان العظمة

ميزان الحق ميزان السماء وإنه لفي الحقيقة لما يندى له الجبين  
أن تنتهي علاقتنا بعثمان بهذا الحكم المبتسر المبتور دونما رادع  
ولا وازع .

ولسنا نريد منه أن يقدر عثمان لأنه صحابي . أو لأنه ثالث  
الخلفاء الراشدين وعثمان في غنى عنه وعن تقديره . بل كنا نربأ  
به أن ينزل الى هذه الهوة دون أن يقف على ما أثبتته الحق لا  
الهوى ، وما أقره منطق التاريخ ومساره لا أغراض المؤرخين  
وميوهم ونزاعتهم .

أبو ذر الذي خط الشيب رأسه والذي درج الى العجز  
ككل ذريئة .

« هو الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة  
ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة » .

إنه وهو يراجع حصيلة عمر مثقل بالأعاجيب والأعاصير ،  
يحمل على كتفه أثقال ثمانين عاماً أو تزيد يمعن في الأفق ،  
ويراجع رصيد حياته وجهاده مع قائده وحببيه فيتلظى شوقاً  
إليه . ويتأجج لهفة لمرآه ، ويذكر فيما يذكر شارة لموته أعطاها  
له قائده أن سيشهد دفنه نفر من صالحى هذه الأمة .

مع هذه الذكريات وفي صدى هذه الهواتف ، ومن وحي

تلك الشجون نستمع إلى دقات قلبه ، ولهيب نفسه ، ونفثات صدره ، وإعصار روحه يقدمها لنا راويتنا الأمين عطية بن يزيد الفقعسي عن شعيب عن سيف كما روى ابن جرير الطبري .

« لما حضرت أبو ذر الوفاة وذلك في سنة ثمانٍ من ذي الحجة ، من إمارة عثمان نزل بأبي ذر . فلما أشرف قال لأبنته : استشرني يا بنية فانظري هل ترين أحداً ؟ قالت : لا

قال : فما جاءت ساعتني بعد ، ثم أمرها فذبحت شاة ثم طبختها ثم قال :

إذا جاءك الذين يدفنونني فقولي لهم إن أبا ذر يقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا . فلما نضجت قدرها قال لها: انظري هل ترين أحداً ؟

قالت : نعم هؤلاء ركب مقبلون . قال :

استقبلي بي الكعبة ففعلت وقال : بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ ، ثم خرجت ابنته فتلقتهم وقالت :

رحمكم الله اشهدوا أبا ذر وادفنوه . قالوا : وأين هو ؟ فأشارت لهم إليه قد مات فادفنوه . قالوا نعم ونعمة عين لقد أكرمنا الله بذلك وإذا ركب من أهل الكوفة فيهم ابن مسعود يبكي ويقول :

صدق رسول الله ﷺ .

« يموت وحده ، ويبعث وحده » .

فغسلوه وكفنوه ، وصلوا عليه ودفنوه . فلما أرادوا أن يرتحلوا قالت لهم : إن أبا ذر يقرأ عليكم السلام وأقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا . ففعلوا وأحملوهم حتى أقدموهم مكة .

ونعوه إلى عثمان ، فضم ابنته إلى عياله وقال :

يرحم الله أبا ذر ، ويغفر لرافع بن خديج سكونه .

ولئن كان في هذا النص بعض جوانب غامضات . فنترك الحلحال بن ذري أحد شهود العيان في تلك الحادثة يسردها كما روى الطبري عنه في السند المكين المتين سند شعيب عن سيف .

يقول الحلحال بن ذري :

خرجنا مع ابن مسعود سنة واحدٍ وثلاثين - ٣١ - ونحن أربعة عشر راكباً حتى أتينا إلى الربذة . فإذا امرأة قد تلبقتنا . فقالت : اشهدوا أبا ذر وما شعرنا بأمره ولا بلغنا . فقلنا : أين أبا ذر . فقلنا ما له ؟ قالت : فارق المدينة لأمر قد بلغه فيها ففارقها .

قال ابن مسعود : ما دعاه إلى الأعراب ؟

فقلت : أما إن أمير المؤمنين قد كره ذلك . ولكنه  
كان يقول .

هي بعد ، وهي مدينة .

فقال ابن مسعود إليه وهو يبكي فغسلناه وكفناه ، وإذا  
خباء منضوح مسكاً . فقلنا للمرأة : ما هذا ؟ قالت :  
كانت مسكة فلما حضر قال :

إن الميت يحضره شهود يجدون الريح ولا يأكلون . فذوبني  
تلك المسكة بماء ثم رشي به الخباء . فأقريهم ريحها . ثم اطبخي  
هذا اللحم . فإنه سيشهدني قوم صالحون يلون دفني فأقريهم .  
فلما دفناه وقمنا إلى الطعام فأكلنا وأردنا احتمالها فقال :  
أمير المؤمنين قريب نستأمره . فقدمنا مكة فأخبرناه بالخبر  
فقال : يرحم الله أبا ذر ويغفر له نزوله الربرة .

ولما صدر خرج فأخذ طريق الربرة فضم عياله إلى عياله  
وتوجه نحو المدينة وتوجهنا نحو العراق .

— أما وثائق الجلسة ومحضر الشهود فهذه هي : —

وعدتنا ابن مسعود ، وأبو مفرز التميمي ، وبكر بن عبد الله

التميمي والأسود بن يزيد النخعي ، وعلقمة بن قيس النخعي .  
والحلل بن ذر الضني . والحارث بن سويد التميمي ، وعمرو بن عتبة بن  
فرقد السلمي وابن ربيعة السلمي ، وأبو رافع المزني ، وسويد بن  
شعبة اليمني وزباد بن معاوية النخعي . وأخو القرثع الضبي وأخو  
معضد الشيباني هذه الرواية الصحيحة والوثيقة التاريخية الخالدة  
نرجحها أو بالأحرى لا نتبنى غيرها لثقتنا بروايتها ومصدرها وقوتها .

ومن قبيل التوسع في البحث لدينا رواية أخرى في الاستيعاب  
في أسماء الأصحاب رواها إبراهيم بن الأشتر عن الأشتر النخعي  
عن أم ذر تقول :

« لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت . فقال لي ما يبكيك ؟ .  
فقلت :

وما لي لا أبكي وأنت تموت بفلات من الأرض وليس عندي  
ثوب يسعك كفناً لي ولا لك ولا بد لي للقيام بجهازك . فقال :

فابشري ولا تبكي فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لا يموت بين امرأتين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران  
ويحتسبان فيريان النار أبداً » . وقد مات لنا ثلاثة من الولد .  
وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا منهم .

« ليموتن رجلا منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من

المؤمنين . وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات في قرية  
أو جماعة فأنا ذلك الرجل والله ما كذب ولا كذبت فابصري  
الطريق .

قلت : أني وقد ذهب الحاج وانقطعت الطريق .

قال اذهبي فتبصري ، فكنت اشتد إلى الكثيب فانظر ثم  
ارجع اليه فأمرضه . فبينما هو وأنا كذلك إذ أنا برجال على  
رحالهم كأنهم الرخم تحت على رواحلهم . فاسرعوا إلي حتى  
وقفوا علي فقالوا :

يا أمة الله مالك ؟ قالت : امرؤ المسلمون يموت تكفونونه ؟  
قالوا : ومن هو . قلت : صاحب رسول الله ﷺ قلت : نعم  
ففدوه بآبائهم وأمهاتهم . اسرعوا إليه حتى دخلوا عليه فقال  
لهم : إيشروا فياني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفرٍ أنا فيهم  
« ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين »  
وليس من أولئك النفر أحد إلا قد هلك في قرية أو جماعة .  
والله ما كذب ولا كذبت . ولو كان عندي ثوب يسعني كفناً  
لي ولأمرأتي لم أكفن إلا في ثوب هو لي .

وإني انشدكم الله أن لا يكفني رجل منكم كان أميراً أو  
عريفاً أو بريداً أو نقيياً . وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد  
قال ما قال إلا فتى من الأنصار فقال : أنا أكفئك يا عم بردائي



هذا وفي ثوبين في عبين من غزل أُمي . قال : أنت تكفني .

فكفنه الأنصاري ، وغسله في النفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه في نفرٍ كلهم إيمان .

وإذا وقفنا أمام هاتين الروايتين أمكننا أن نستخلص أكثر من شيء وشيء منها ، ها نحن نلمح أبا ذر وكأنه ينتظر ساعته ويستعد لرحيل انفتحت له نفسه وتشوقت له روحه . إنه ينتظر موعداً تاق لتحقيقه منذ زمن بعيد . ويدعو ابنته أن تعالج الصحراء . فلا بد أن الركب قادمون . وهم ركب ولا شك صالحون كما سماهم سيده صلوات الله عليه .

إنه يتهيأ لتلك الساعة الخالدة كما وصفه العيسى بقوله :

عودي إلى ظهر الفلاة      وحدقي في الأفق عودي  
وتعود تنظر في المدى      ثكلى وتهمس في شرود  
لا شيء غير الرمل والـ      خلوات والقر الشديد  
لا شيء يشخص يا أبا ذرٍ على الأفق البعيد  
وتكاد تيأس من خياـل مطية أو طيف عابر  
وتهم أن تبكي فتلتمس الجليد على المحاجر..  
ماذا؟ أركب في الضباب؟ يلوح أم أوهام خاطر  
أيهمون إليهم؟ هيهات إن القفر ساخر  
وتخف راعشة إلى اللقيا وتصدقها المقادر  
وتشير للقوم الأولى عقدوا بلفتها النواظر

في الخيمة السوداء عند التل ليس لديه ، زافر  
لا أبتغي منكم - وحامت حول نظرتة المشاعر .  
لا أبتغي منكم سوى كفن ( اجل كفن ) وقابر  
ناشدتكم بمحمد لا مسّ جسمي ثوب آمر  
ودنا من الشبح الهزيل فتى رقيق العود ضامر  
هذا رداء قدمي عرفني نقي الجيب طاهر  
مالامست خيطاً به يد آثم أو كف جائر  
خذه تقدك خفقة من قلبنا وضياء ناظر

\* \* \*

وتفرجت شفة الغروب وقبلت قبل الوداع  
جدثاً بقلب اليد تسعفه الرياح بلا انقطاع  
فكأنما اتصل الكفاح ولم يمت وهج الشعاع

\* \* \*

فكما يبدو أن ناصر الدين والعيسى قد أخذوا برواية  
الاستيعاب . حتى تكون الكتابة من القلب أقرب ، وإلى  
النفس ألصق . كي يجدا وهما يكتبان شفاءً للغل من الجائر عثمان  
كما يحملون . ولكننا ونحن نقف من الرواية الثابتة موقف الممعن  
المدقق . نجد ما يدفعنا إلى أن نضع إشارة استفهام كبيرة لدى  
الرواية الثانية ، رواية الاستيعاب في أسماء الأصحاب .

هذه الإشارة تحوم حول الاشتهر النحفي الذي نقل على لسانه  
حديث أم ذر الغفاري رضوان الله عليها .

فالأشتهر رغم بطولته النادرة وشخصيته القوية . ومساندته  
الكاملة لعلّي كرم الله وجهه . رغم هذا كله فقد كان من أشد  
المتألمين على عثمان . وكان هو والغافقي بن حرب على قيادة  
الثورة المسلحة التي أطاحت بعثمان رضوان الله عليه . تكفيننا  
فقط ولا نريد أكثر من ذلك أن نضع هذه الإشارة العابرة  
الواضحة ومع ذلك كله – فلو قبلنا برواية الأشتهر عن أم ذر  
برمتها . فلا نجد فيها أبداً – لو فحصنا بعين مجهرية . وفحصناها  
بدقة متناهية – لن نجد أبداً ما يثبت أنه مات وبنيه من  
الجوع . كما قال ناصر الدين وسليمان :

لن نجد أبداً فيها ذلك الحقد الأهوج على عثمان ( من رجل  
شارك في قتل عثمان ) كما نرى من خلال الرواية تلك النفسية  
الحية المتفتحة وهو يثير البشارة إثر البشارة اولاهـا : لزوجـه  
وأخراها : لركبه القادم لكفنه .

إن الحياة النابضة لتشع من عين أبي ذر وهو يتهلل للموت .  
بينما نرى الإلحاح على الجوع للطريد والموت بالحرمان للشريد .

ولو أن ناصر الدين وسليمان ركزا على نقطة حيويته وعظمة  
استقباله للموت لبدت التجربة أعمق والنفسية أعظم . إلا أن  
روح الضغط الرهيب من الحاكم الجائر تطفئ وتجوّر على روجيهما

حتى تدفعهما إلى اليأس والغضب أكثر ما تدفعهما إلى الحق والنور .

ونقف ثانية عند شرط أبي ذر أن لا يكفنه أمر أو يريد أو عريف .

فلقد كان هذا الشرط للقصاص والمنشدين المحدثين باباً واسعاً للنقد والتجريح بالحاكم الإسلامي آنذاك . مع أنه لا يثير في النفس العادية ، النفس المسلمة ، النفس الصافية والفقيهة بنفسية أبي ذر أكثر من حرصه على التقليل من الدنيا . منسجماً مع الخط الذي تبناه منذ اللحظات الأولى من حياته .

إنه يرفض من كل قلبه بهارج الدنيا وزنتها . لقياء زمن عمر وهو يبتعد عن الولاية ، وهم رفاق دربه وجهاده . كما نلقاه زمن عثمان وهو يثور من الترف ويطلب من أمير المؤمنين : أن لا يرضى من الناس بكف الأذى بل عليهم أن يبذلوا المعروف ويمتنعوا عن الكنز .

ونلقاه كذلك وهو يتهاى للقاء حبيبه صلوات الله عليه ولا تزال ترن في أذنيه الكلمة الخالدة التي وصاه بها :

إنها أمانة ، وإنك ضعيف . إنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها .

هذه الكلمة الخالدة التي تصهر الأعماق صهراً عند سيد

الصادقين أبي ذر . وقد رافقها حرصه المذهل على أن يلقي حبيبه بالصورة التي تركه عليها يوم صعد إلى الرفيق الأعلى . وهو الذي كثيراً ما صرخ بصوت حبيبه في اصدااء مجتمعه . « إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئته يوم تركته فيها » .

وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد نشب فيها بشيء غيري فكيف إذن يلقي حبيبه . وعلى جسده ثوب أمرٍ أو بريد أو عريف أو نقيب ؟ . تلك النفسية المذهلة في الروعة التي وقفت عند النقطة التي أرادها له قائده عليه الصلاة والسلام . لا نلمحه فقط يتحراها في الملبس فقط . بل يتحراها كذلك في المأكّل . كما روى ابراهيم التميمي عن ابيه عن أبي ذر .

« كان قوتي على عهد رسول الله ﷺ صاعاً من تمر . فلست بزائد عليه حتى القى الله » .

فأبو ذر وهو في ساعة الوداع الأخيرة يستحي من الرسول ﷺ أن يلقاه وقد مس جسده أثراً من آثار الدنيا . هو يريد العودة ولم ينشب فيها بشيء أبداً كما عاهد نفسه على ذلك .

وأبو ذر الذي طلب منه قائده أن يتجنب الإمارة لأنه ضعيف . يبلغ به التحري والتشدد في تلبية قائده أن يحلف

على الركب بالله أن لا يكفنوه بثوب آمر أو بريد أو عريف  
أو نقيب .

والذي عاش حياته دون لوثتها . فلن يرضى لوثتها في ساعة  
الوداع الأخير . إنه في الحقيقة يتحدى الدنيا كلها بهذا الترفع  
والسمو والعظمة . ويكفي أن رائده في ذلك عيسى بن مريم كما  
وصفه بذلك عليه الصلاة والسلام .

أبو ذر في أمتي على زهد عيسى بن مريم عليه السلام .

إنه الزهد الايجابي البناء لا الزهد السلبي القاتل .

ليس زهد الذي يفر من الدنيا لعجزه عن الوصول إليها .  
وتحلب ريقه من أجلها بل هو زهد الأبي العظيم المتعفف عنها  
وقد سيقت اليه راغمة .

« أقم عندنا تغدو وتروح عليك اللقاح » .

لا حاجة لي في دنياكم .

وكذلك !

« قلت : إن أصحابك قبلنا أكثر الناس مالا .

قال : أما إنهم ليس لهم من مالٍ إلا ولي مثله »

ليس زهد الخانعين الخائفين الغائبين في جحورهم وصوامعهم  
لأنهم لا يجرؤون على رفع أصواتهم بالحق . وإرسال نذر  
الهداية في المجتمع .

بل زهد العظماء الخالدين الذي يجوب أرض الإسلام وهو  
يعلن رأيه ويوضح موقفه ويدخل على الحكام ويناقشهم . ويقف  
في صفوف الأمة ويهتف بها إلى الله .

« والله لتسمعن مني أولاً أدخل عليك »

« لا تقل مال الله بل قل مال المسلمين »

« لا ترضوا من الناس بكف الأذى حتى يبذلوا المعروف .  
وقد ينبغي لمؤدي الزكاة أن لا يقتصر عليها حتى يحسن إلى  
الجيران والاخوان ويصل القرابات » .

« بشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل  
الله بمكاوٍ من نار تكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » .

وليس زهد المغفلين المسيرين بمخططات خصوم الإسلام .  
بل زهد اليقظين المتحسين لمكان الفتنة ومزالق الانحراف .

« يا أبا ذر فعل بك هذا الرجل وفعل فهل أنت ناصب له  
راية . فلنكمل برجال ما شئت .

فقال : يا أهل الإسلام لا تعرضوا عليّ ذاكم ولا تذلوا  
السلطان فإنه من اذل السلطان فلا توبة له .

والله لو أن عثمان صلبني على أطول خشبة وأطول جبل  
لسمعت وأطعت وصبرت واحتسبت ورأيت أن ذلك خير لي » .

« قال كعب : من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه »

فرفع أبو ذر محبته فضربه فشجه وقال :

يا ابن اليهودية ما أنت وها هنا .

\* \* \*

ولنقف مع مقتطفات من راويتنا الأمين عطية بن يزيد  
الفقعسي عن طريق شعيب عن سيف كما روى ابن جرير الطبري :

« ثم أمرها فذبحت شاة ثم طبختها ثم قال :

إذا جاءك الذين يدفنونني فقول لهم إن أبا ذر يقسم عليكم  
أن لا تركبوا حتى تأكلوا ... »

« إن أبا ذر يقرأ عليكم السلام وأقسم عليكم أن لا تركبوا  
حتى تأكلوا . ففعلوا وحملوهم حتى أقدموهم مكة . »

وفي رواية الحلحال بن ذري .

« فقال ابن مسعود إليه وهو يبكي فغسلناه وكفنناه وإذا خباء  
منضوح بمسك فقلنا للمرأة : ما هذا ؟

قالت : كانت مسكة فلما حضر قال :

إن الميت يحضره شهود يحدون الريح ولا يأكلون فذوبي تلك  
المسكة بماء ثم رشي بها الخباء فاقرهم ريحها ثم اطبخي هذا



اللحم . فانه سيشهدني قوم صالحون يلون دفني فاقريهم فلما  
دفناه . دعتنا إلى الطعام فأكلنا » .

\* \* \*

هذا الطراز العجيب الخالد من الأعلام . الذي كان قوته  
صاعاً من تمر على عهد رسول الله ﷺ . والذي كان نصيبه عظم  
من جزور مع أهله كل يوم كما فرض عثمان له ولرقيق الله على ماء  
الربذة .

أبو ذر هذا يرى منيته قد اقتربت ، فإذا هو مهموم .  
لا فرقاً من الموت معاذ الله . فهو يعيش على ههددة تلك البشارة  
بشارة اللقاء مع القوم الصالحين الذين يلون دفنه . وهو مطمئن  
إلى وعد حبيبه به . ولكن الذي يهيمه ويقلقه هو ضيافتهم ،  
ضيافتهم بعد الموت . ومن اجل هذا يهتم هو وزوجه وابنته  
بالضيف الزائرين والركب الصالحين . فيبخر الشاة . ويذبحها  
ويطبخها . ثم يرتاح ضميره . وينام قرير العين مرتاح السريرة  
أن قد أدى ما عليه .

ولكن هناك شيئاً آخر يعتمل في صدره . فيفكر به في  
وجوم وصمت . وبعد لأي يجد الحل . فتتهلل أسايره ويشرق  
وجهه .

إن هناك حضور للموت لا يأكلون . انهم ملائكة الرحمن

فكيف يقريهم ويضيفهم . لقد ذكر إن لم تحنه ذاكرته - أن  
عنده مسكة . وبحث عنها فوجدها . وأمر زوجه أو ابنته أن  
تذيبها في الماء ففعلت ثم أتى التوجيه الحاني الآخر .

أن انضحى بها الخباء . ففعلت .

والآن تغمره السعادة وينتشي بالطمأنينة . لقد أنهى علاقته  
مع الحياة ومع أهل الحياة .

انهاها بقري وطيب .

فما أروع هذه الخاتمة وما أجل هذا الوداع .

أما النقطة الثانية التي تستوقفنا في هذا النص فهي :

« ونعوه إلى عثمان فضم ابنته إلى عياله . وقال :

يرحم الله أبا ذر ، ويغفر لرافع بن خديج سكونه . »

وأما في رواية الحلحال :

« فإذا امرأة قد تلتقتنا فقالت : اشهدوا أبا ذر . وما شعرنا

بأمره ولا بلغنا . فقلنا : أين أبو ذر . فأشارت إلى خباء .

فقلنا : ماله ؟ قالت : فارق المدينة لأمر قد بلغه فيها ففارقها .

قال ابن مسعود : فما دعاه إلى الأعراب ؟

قالت : أما إن أمير المؤمنين قد كره ذلك . ولكنه كان

يقول :

هي بعد وهي مدينة ...

فأكلنا وأردنا احتمالها . فقال ابن مسعود :

أمير المؤمنين قريب نستأمره . فقدمنا مكة ، فأخبرناه الخبر ، فقال :

يرحم الله أبا ذر ويغفر له نزوله الربذة .

ولما صدر خرج فأخذ طريق الربذة . فضم عياله إلى عياله وتوجه نحو المدينة وتوجهنا نحو العراق . «

فنحن أمام عالم الكمال والمثالية الرائعة . أمام صورة مناسبة لتربية الرسالة والعقيدة . أمام تلاميذ مدرسة محمد صلوات الله عليه بكل نظافتها وسموها وطهرها .

فعثمان يبدي أسفه وأسأه لأن أخاه أبا ذر قد فارق المدينة كما فعل كذلك أخاه رافع بن خديج .

والرواية صحيحة سنداً قبل أن تكون صحيحة متنأ ، لأنه السند المأمون .

عن شعيب عن سيف عن عطيه بن يزيد .

والثانية عن شعيب عن سيف عن الحلحال بن ذري .

ولعل مثل هذه الصورة المشرقة لا ترضي ذوي النفوس

التعب العفنة . ويؤذيه هذا النور المضيء لأنهم لا يألفون العيش إلا في الظلام ومن أجل هذا نجدهم يتسكعون وراء كتب الأدب كتب الملهاة والعبث والمتعة لتمدهم بصورة مناسبة لتكوينهم وتركيبتهم . فيرضون النفي ويلتذون بالطرد . ويتمتعون بوفاة أبي ذر جوعاً وكمدأ وعطشاً . وبذلك تكمل المسرحية وتتم المهزلة .

حيث تصرع الرأسمالية الاشتراكية . ويتحول الموضوع كله من الرسالة الخالدة والعقيدة الثابتة إلى لقمة الطعام وإلى النزاع حول الانتكاس في الرغام .

عثمان يضم عيال أبي ذر إلى عياله وابنته إلى ابنته ويؤلمه ذلك البعد . ويشهد له ألصق الناس بأبي ذر . يشهد لعثمان أمير المؤمنين زوج أبي ذر ، سيد الزاهدين .

ابن مسعود : ما دعاه إلى الأعراب ؟

زوج أبي ذر : أما إن أمير المؤمنين قد كره ذلك .

— فعثمان إذن انكر خروج أبو ذر وكرهه —

ولكنه كان يقول : هي بعد وهي مدينة .

— وأبو ذر يرى أن الربذة تكاد تكون المدينة فهي ضاحية

من ضواحيها وعلى طريق الحجيج . ولا تبعد عشرين ميلاً عنها .

فكأنه لم يغادر دار الهجرة . ولم يرتد إلى الإعرابية .

ومع هذا كله فتأتي وصية عثمان :

— تعهد المدينة حتى لا تترد أعرابياً .

إن أمير المؤمنين ، ليرى في زوج أبي ذر وابنته أنها أحق الناس بالوفاء . وقد قضى الراحل الكريم أخوه .

فلم يرضى أن يمدّهم ببعضٍ من المال . ثم يدعهم للهلاك . ولم يرضى أن يمدّهم حتى ولو بقوت يومي .

إنه يرى أن حق أخيه أبا ذر أعظم من ذلك بكثير .

أن تكون زوجته وابنته في كنف أمير المؤمنين ، وتحت رعايته وحده ، يصيبهم ما يصيب عياله . وما يصيب زوجته وبناته فلئن كان أبو ذر يرى أنه أحق الناس بالزهد حتى يلقي خليفه كما تركه . فهو لن يفرض هذا كله على أهله بعد الوفاة .

ومن أجل هذا كله

ضم ابنته إلى عياله . في الرواية الأولى

وضم عياله إلى عياله . في الرواية الثانية

\* \* \*

بقي علينا قبل الفراغ من البحث ، أن نزيل شبهة واحدة ، هي المصدر الذي استقى منه — ناصر الدين — صورة وفاة أبي ذر . حتى لا يتطرق إلى الذهن شك أنها رواية صحيحة فسنضعها بين يدي القارئ ليحكم على صحتها سنداً ومناً .

فلقد أورد السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة . هذا النص : وفي تفسير علي بن ابراهيم في تنمة الخبر السابق في غزوة تبوك . « فلما سير عثمان إلى الربذة كان له غنيمات يعيش هو وعياله منها فأصابها داء يقال له - النقاب - فماتت كلها .

فأصاب أبا ذرٍ وابنته الجوع وماتت أهله فقالت ابنته :  
أصابنا الجوع وبقينا ثلاثة أيام لم نأكل شيئاً . فقال لي أبي :  
قومي بنا يا بنية إلى الرمل نطلب العنب ( وهو نبات له حب )  
فصرنا إلى الرمل فلم نجد شيئاً .

فجمع أبو ذر رملاً ووضع رأسه عليه . ورأيت عيذه قد  
اغمضت فقلت له : يا أبة كيف اصنع بك وانا وحيدة ؟

فقال : يا بنيتي لا تخافي فإني إذا مت جاءك من اهل العراق  
من يكفيك أمري . فإني أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ في غزوة  
تبوك فقال لي : يا أبا ذر : تعيش وحدك وتموت وحدك ،  
وتبعث وحدك ، وتدخل الجنة وحدك . سيعبر بك أقوام من  
أهل العراق يتولون غسلك وتجهيزك ودفنك . فإذا أنا مت فمدي  
الكساء على وجهي ثم اقعدي على طريق العراق . فإذا أقبل  
ركب فقومي اليهم وقولي : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى  
الله عليه وعلى آله وسلم قد توفي .

قالت : فدخل عليه قوم من أهل الربذة . قالوا : فما

تشتكي ؟ قال : رحمة ربي قالوا : هل لك من طبيب . قال :  
الطبيب أمرضني .

قالت ابنته : فلما عاين سمعته يقول : مرحباً بحبيب أتى علي  
لا افلح من ندم . اللهم خنقني خناقك . فراقبتك إنك لتعلم  
أني أحب لقاءك .

قالت ابنته : فلما مات رددت الكساء على وجهه ، ثم  
قعدت على طريق العراق فجاء نفر فقلت لهم : يا معشر المسلمين  
هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ قد توفي .

فنزلوا ومشوا ليكون فجاءوا وغسلوه وكفنوه ودفنوه  
وكان فيهم الأشتر فروي أنه قال :

دفنته في حلة كانت معي قيمتها أربعة آلاف درهم . فقالت  
ابنته : فكنت أصلي بصلاته ، وأصوم بصيامه . فبينما أنا ذات  
ليلة نائمة على قبره إذ سمعته يتهجّد بالقرآن في نومي كما كان  
يتهجّد به في حياته .

فقلت : يا أبت ! ماذا فعل بك ربك ؟

قال : يا بنيّتي قدمت على رب كريم رضي عني ورضيت عنه  
أكرمني وحباني فاعلمي لا تفترني .

فما تبناه القاص — ناصر الدين — والمنشد العيسى ، حول

هلاک أبی ذر من الجوع هو هذه الرواية الآتفة الذکر  
وبالضبط منها :

« فأصاب أبا ذر وابنته الجوع وماتت أهله فقالت ابنته .  
أصابنا الجوع وبقينا ثلاثة أيام لم نأكل شيئاً . فقال لي أبي :  
قومي بنا يا بنية إلى الرمل نطلب العنب ( وهو نبات له  
حب ) فصرنا إلى الرمل فلم نجد شيئاً » .

وحین نريد أن نعرف صحة هذه الرواية وقوتها يفاجئنا  
أنها لم ترد في كتاب مخصص للتاريخ . ولم ترد في سند وثيق محقق .  
لقد وردت في كتاب تفسير ، ومن دون أن نعلم ما هو المصدر  
الذي اعتمد عليه هذا التفسير . فهل تبني الحقائق التاريخية على  
هذا الطريق ؟؟

ومتى كانت الحقيقة التاريخية تلتهم من هذا السبيل ؟؟؟  
وبعد ..

فهذا أبو ذر شهدناه فتى عربياً ناضج الفكر ، مرهف  
الحساسية شجاع القلب ، فارس الصحراء .

وهذا أبو ذر رأيناه شاباً مسلماً ، حار الدعوة ، ناضج  
الایمان ، صلب العقيدة يتحدى الطاغوت ، ويعلن رسالته لا يخشى  
في الله لومة لائم ، ولو كلفته هذه العقيدة روحه وحياته .



وها هو كما شهدناه التلميذ البار لقائده ، الموصول القلب بربه ،  
يترفع عن الدنيا في كيانه وذاته ، وسريته خير من علانيته .  
وهذا صوته يملأ الدنيا ، ولحنه يشرق الوجود ، يوم وقف  
حيث أوقفه قائده فما بدل وما غير ، أته الدنيا وهي راغمة ،  
فأشاح عنها بعفة المؤمنين . وإباء المجاهدين . يطلب من الناس  
أن يبلغوا قلته وأني لهم ذلك . ويدعوهم أن يشرفوا معه من  
على الأرض ليتصلوا بالسماء . فما يتالكون ويسقطون وهو هو  
نفسه أيام عمر - وأيام عثمان . يدعو الناس للزهد حتى يرى  
كثيراً عليهم أن يجمعوا نوعين من الطعام على مائدة ، وأن  
يملكوا درهماً يقتنونه لفانية .

وأخيراً ونحن نراه يوقع هذا اللحن ويسلك هذا المسار .  
يلتزم بقيادته المؤمنة يستأذن أميره يوم يغادر المدينة . ويدخل  
على أميره ليعلن رأيه بوضوح وصراحة وجرأة . ويبقى المسلم  
الملتزم ، المكلف بالطاعة ، الحافظ للعهد . المنفذ لقول رسول  
الله عليه الصلاة والسلام : اصبر حتى تلقاني .

يغلق باب المستغلين . ويحبط مؤامرات المضللين . ويبقى  
الحفيظ على التزام المهاجرين ويصفع وجه الحاقدين والموتورين  
ساخراً منهم ومبتسماً يقول :

سامع مطيع ولو أمرني أن آتي صنعاء أو عدن ثم استطعت  
أن أفعل لفعلت .

ويرفض بعزة وتقى وثقة أن ينال من أمير المؤمنين عثمان  
ولو بحرف واحد . وذاك أمير المؤمنين عثمان يحز في نفسه بعد  
أخيه أبي ذر . ويتلقى نبأ وفاته بمرارة وأسى شديدين حتى  
ليفتح قلبه لزوجته وعياله ويجعلها جزءاً من حياته وبيته .

وهذا هو الإسلام في نظافته وطهره وسموه يوم يربي بنيه ،  
وينشئ جنده . لا كما يفهم الابناء العاقون والكتاب المغرضون  
المشبهون .

«وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر».

والحمد لله رب العالمين

## فهرس

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٥	بين يدي البحث
١٥	جذور الشخصية
٢٨	المحول العجيب
٥٤	مع قائد الدعوة
٧٢	فتى غفار
٩٠	خطوط بارزة من منهج الاسلام في الاقتصاد
٩٨	لمحة عن التاريخ
١٠٦	المجتمع الاسلامي أيام عثمان
١١٤	جوهر دعوة أبي ذر
١٢٤	اليهودية بين معاوية وأبي ذر
١٨١	من آثار اليهودية بين عثمان وأبي ذر
٢١٥	أبو ذر في جوار الله
٢٤٣	الفهرس

ملتزم التوزيع لجميع مطبوعاتنا  
الشركة المتحدة للتوزيع  
شارع سورية - بناية صمدي وصالحه  
ص.ب ٦٣٤٧ بيروت

الضمن : ٣٥٠ ق. ل.



النَّارِي السَّيَّي